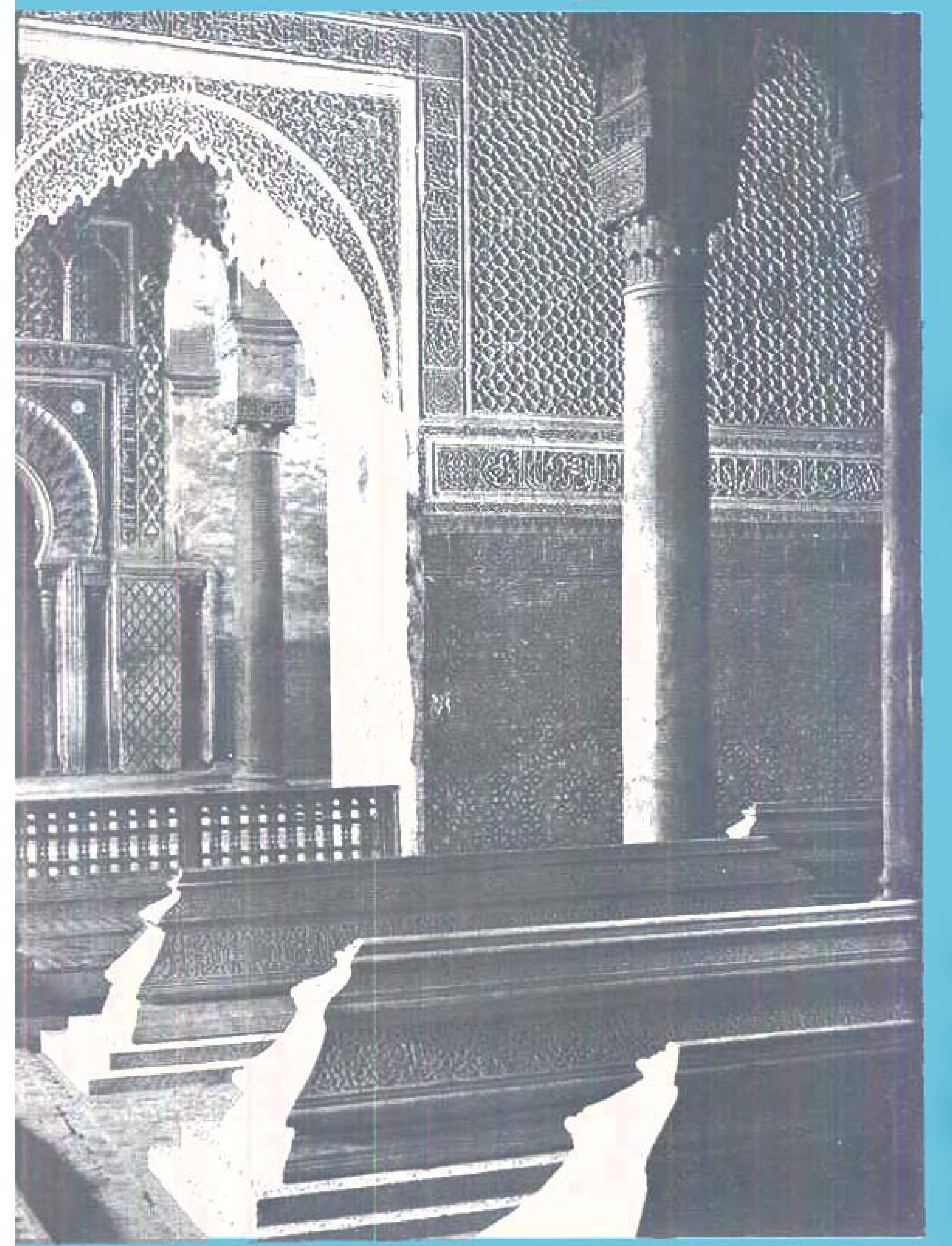
دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالبحوث الدينية
وبشؤون الثقافة والفكر



تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط
المغرب الأقصى

العدد السابع
السنة الأولى
جمادى الثانية ١٣٧٧
يناير ١٩٥٨
الثمن ١٠٠ فرنك

دعوة الحق

﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ﴾

المدير:
المكي بادو

رئيس التحرير:
عبد القادر الصحراوي

المراسلات
وزارة عموم الأوقاف

....

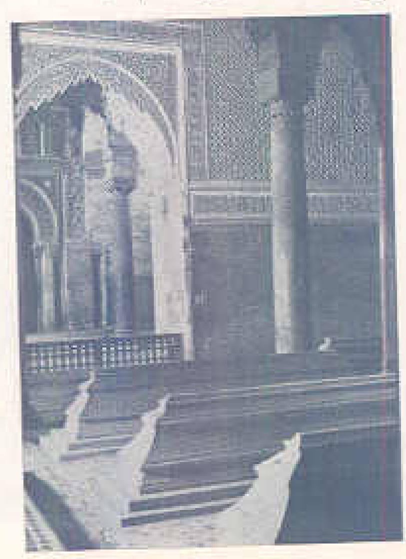
الاشتراك عن سنة ١٠٠٠ ف

الشيك البريدي
C.P - ٤٨٥-٥٥

تلفون: ٠٣١ - ٣٢٧ - ٣٠٨١٠

صورة الغلاف

قبور الملوك السعديين بمراكش، تحفة فنية رائعة يرجع تاريخها الى القرن السادس عشر ، ولا تزال حتى اليوم يقصدها في كل سنة عشرات الآلاف من السواح من مختلف اقطار العالم .





لا زالت « دار العروبة » التابعة للجماعة الاسلامية بالقطر الاسلامي الشقيق ـ باكستان ـ توالي اتحاف ادارة هذه المجلة برسائل ممتعة ، تعبر فيها عن مدى اغتباطها بهذه المجلة ، وتقديرها للمجهود المبذول فيها من الناحيتين الفكرية والفنية معا .

ومما ورد في آخر رسالة وصلتنا من الاستاذ السيد محمد عاصم الحداد ، معتمد دار العروبة للدعوة الاسلامية ، قول سيادته :

« ولا تسألوا عن مبلغ اعجابنا باناقة طبع المجلة ، وجمالها الصوري والمعنوي ، ندعو الله ان يكتب لها الدوام ، وينصركم نصرا مؤزرا ويثبت اقدامكم ...

والاستاذ المودودي وزملاؤنا في مركز الجماعة ، يقرأون السلام عليكم وعلى زملائكم الفر الميامين » .

ولعل قراء هذه المجلة الكرام يذكرون جيدا اسم العلامة السيد ابي الاعلى المودودي امير الجماعة الاسلامية بباكستان ، فقد قرأوا له فيها مقالات ممتعة حقا ، يمتزج فيها سمو العاطفة الدينية وقوتها ، بالعلم الغزير والمنطق المحكم والعقل السليم المشرق الواضح .

اما الجماعة الاسلامية التي يرأسها العلامة المودودي ، فلن نتحدث عنها في هذه العجالة ، وانما نكتفي بان نحيل القارىء على مقال في التعريف بها، يجده ضمن مواد هذا العدد .

بقي ان نقول ان حضرات السادة الذين يكتبون الينا من الداخل او من الخارج ليبلغونا عطفهم على هذه المجلة وتقديرهم لها وتشجيعهم للقائمين عليها ، يطوقوننا بمنة لا ندري الى اي حد نستطيع ان نتحملها وننهض بها ، انهم يضعوننا ـ بنبلهم ـ امام مسؤولياتنا في العمل المتواصل من اجل السعي بهذه المجلة سعيا حثيثا نحو الكمال المنشود الذي يرجونه لها ونرجوه معهم جميعا .

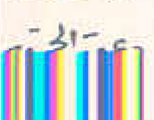
فهل نستطيع بوسائلنا المحدودة الخاصة ان نبلغ هذا الكمال او ان نقترب منه ؟ .

اما من ناحيتنا فقد وعدنا منذ البداية الا نذخر جهدا ، ولكن المجلة ليس معناها فقط الادارة او هيئة التحرير ، وليس معناها المطبعة او الورق او غير ذلك ، وانما معناها قبل كل شيء تجنيد رجال العلم والادب والثقافة والاصلاح في البلاد للبحث والدرس واعمال الفكر .

ورجال الثقافة في بلادنا قلة وقد استغرقتهم على قلتهم استغراقا كاملا اعباء المسؤوليات التي وضعها في ايديهم الاستقلال الوليد . ومع ذلك فان للثقافة عليهم حقا يجب الا ينسوه ، واذا كان من حق بلادهم عليهم ان يعملوا لها في ميدان السياسة والاقتصاد والحكم وغير ذلك ، فان من حقها عليهم ايضا ، ان يعملوا لها في ميدان المعرفة ، والا ينسوا الشعلة التي كان لهم فضل ايقادها منذ البداية ، والا يغفلوا عن الجانب الروحي والمعنوي في الجماهير التي وكل اليهم امر قيادتها والعمل من اجلها .

انهم يبنون لبلادهم مجدا وحضارة جديدة بعد ان خلصوها من يد الاستعمار الغاشم ، لكن الحضارة ليس معناها فقط العمارة او الطريق او الحديقة ، ان كل ذلك مع لزومه وضرورته وشدة الحاجة اليه ، لا يعدو ان يكون اطارا ، اما الصورة فهي حضارة الفكر ، ونحن لا نعدو بهذه المجلة ان نحاول رسم بعض الخطوط المميزة لهذه الصورة ولعلنا لا نكون في حاجة الى الالحاح في دعوة رجال الثقافة في بلادنا ان يكونوا معنا في رسم هذه الخطوط .

مهما يكن فان الذي لا جدال فيه ولا غبار عليه ، ولا يحتاج الى بيان او تاكيد او الحاح ، هو ان الاطار وحده لا يكفي .





تعتبر صاحبة السمو الملكي الاميرة للا عائشة قائدة للنهضتين النسوية والاجتماعية في المغرب بحق ، فهي بالاضافة الى مركزها السياسي كاول امراة في المغرب، مثقفة واسعة الاطلاع ، فسيحة آفاق المعرفة ، وقد اكتسبت تجارب كبيرة خلال تنقلاتها بين الشرق واوربا وامريكا ، وشهد لها جميع الذين تشرفوا بمحادثة سموها من عظماء الرجال والنساء ببراعتها وفهمها الدقيق لجوانب المهمة السامية التي تضطلع بها في خدمة المجتمع المغربي .

وتتشرف (دعوة الحق) بنشر هذه الكلمة القيمة التي جادت بها يراعة سموها ، شاكرة لها تلطفها وراجية لها في عملها كل توفيق ونجاح .

اصبح من نافلة القول ان يتحدث متحدث عن دور المراة في الحياة ، وضرورة مساهمتها بجانب الرجل في حمل اعبائها ، فالفطرة الالهية هيأتها لذلك الدور ، والشرائع السماوية والقوانين الوضعية الحكيمة لم تنكر ذلك عليها .

صحيح ان المراة بحكم تكوينها البيولوجي عاجزة عن مجاراة الرجل في كل الميادين ، ولكن هذا لا ينقص من قيمتها شيئا ، فالرجل بدوره عاجز هو ايضا عن مجاراة المراة في بعض المهام ، ولذلك حددت القوانين لكل منهما ما يخصه وسوتهما بعد ذلك في سائر الشؤون.

ولا نضيع الوقت في مجادلة الجامدين والمتشائمين، ويقيننا انهم سيغيرون رايهم عند ما يرون الامور تسير بفضل مشاركة المراة من حسن الى احسن ، وان الدنيا معها بخير .

ومن حسن حظ المغرب ان الله هيأ لقيادة نهضته رجلا حكيما ، هو جلالة والدي الذي درس اسباب التاخر وعرف علله ، فهب يعمل على حسم الداء وتهيئة العلاج ، وكان في طليعة اعماله فتح المدارس في وجوه الفتيات ودعوتهن دعوة ملحة الى ولوجها من غير تردد .

لقد علم ان الحياة طائر لا يطير الا بجناحين ، وما جناحا الحياة الا الذكر والانثى اللذان يتمم احدهما الآخر ، فلذلك لم يشك في فشل المحاولات التي تهدف الى انهاض امة باحد شطريها ، واجتنابا لضياع الجهود وجه عناية متساوية الى الرجال والنساء من رعيته، ولم تكن برامجه لتخفي خطورتها على مستقبل الاقطاعية والاستعمار ، لذلك شنا عليها حملة شعواء يريدان اطفاء انوارها فكانا :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يهنها واوهى قرنه الوعل

لقد كتب النجاح لافكار جلالته ومشاريعه الاصلاحية ، لانها مشاريع وافكار تهدف الى الصلاح ، ولا يكون البقاء الا له ولاهله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) .

فها هي ذي المراة المغربية تثبت وجودها وتبرهن على حيويتها بما تقوم به من اعمال كبرى في ميادين التعليم والصحة والادارة ومشاريع البناء والعمران ، وما نراها الا قائمة بما هو اجل واعظم كلما امعنت في الثقافة واوغلت في العرفان .

والفضل الاول والاخير يرجع الى محمد الخامس الذي ادرك حقيقة الداء ، فاوجد له ناجع الدواء ، وهو في عمله لم يكن الا مطبقا للمساواة بين الجنسين التي صرحت بها الآية (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) .

العلاقة بين الفلسفة وبين الدين حسب كتب التهافت الثلاثة [1]

للزعيم الاستاذ علال الفاسي

هذا بحث ممتع ، كتبه الدكتور مباهات تيركير استاذ الفلسفة الاسلامية فى جامعة انقرة ، ونظرا للقيمة التي يظهرها لكتاب تهافت الفلاسفة للغزالي خصوصا، والتي تبين بوضوح الخطأ الذي وقع فيه بعض الباحثين العرب عن تهافت الغزالي ، ولا سيما الأستاذ سليمان دنيا فى مقدمته للطبعة الاخيرة للكتاب الصادر عن دار المعارف ، وحبا ئ اطلاع قراء (دعوة الحق) على اسلوب البحث الجديد عند مفكري الاسلام غير العرب، فقد ترجمته للعربية عن العدد الثاني من مجلة (الدراسات المتوسطية التي تصدر بفرنسا .

المعرب

اذا نحن رجعنا الى آداب ومكتبة القرن الاخير فيما يخص كتاب التهافت للغزالي (1111 – 1055) وتهافت التهافت لابن رشد (1198 – 1126) وكتاب التهافت ايضا لهواكازادة (1480 – 1420) وجدنا ان هذه الكتب لم تدرس من جهة الصلة القائمة بين الدين وبين الفلسفة ، وانما تحدث عنها بسرعة فى تواريخ الفلسفة الاسلامية المنشورة فى اوربا منذ ما يقارب سنة (2) 1900 .

وقد درس بعض الفلاسفة مثل رينان ومهران ، وجوتيير ، وهورتن ، ودن كور ، واللار ، موضوع علاقة الدين بالفلسفة عند ابن رشد فحسب .

واخيرا اذا نحن اعتبرنا الترجمة الانكليزية المعتنى بها لتهافت التهافت مع تعاليق س ، فان بن برغ (3) لا نتاخر عن تقرير كون ابن رشد درس اكثر مما درس الغزالي وهو اكازاده ، فان تهافت الفلاسفة للغزالي لم يترجم كله بعد ، باية لغة من لغات اوربا (4) اما تهافت الفلاسفة لهو اكازادة فلم يدرسوه قط فى اوربا (5) ، وايضا فقد وقعت تحريفات كثيرة فى الكتب العربية فيما يتعلق بهذا المؤلف ، وكذلك فى الفرنسية والانكليزية وحتى فى التركية .

فمن جهة ، يمكن تدارك النقص الذي بيناه ، اذا نحن درسنا الكتب الثلاثة من جهة علاقة الدين بالفلسفة ومن جهة اخرى يجب اصلاح نظريات المؤلفين الذين حكموا على هذه العلاقة عند ابن رشد ، وتصحيح الاغلاط الراجعة لكتاب تهافت الفلاسفة لهواكازادة .

والفرق الاهم بين الفلسفة وبين الدين (6) راجع الى منشا القضايا هو العقل عند البعض والوحي عند الاخر ، فاصل قضايا الدين من الدين ، واصل قضايا الفلسفة من الانسان .

فهل هناك اذن توافق بين بيانات الفلسفة وبين بيانات الدين لان كليهما يرمي الى توضيح الحقيقة ؟ هذه هي المسالة التي تعرض فى وقت واحد مع وجود الدين والفلسفة ، وقد كان اول من واجه المسالة مفكرون يهود ، وحاولوا الجواب عنها (7) ثم وجد

---

1) توجد مصادر غنية عن معنى وترجمة كلمة (التهافت) فقد كتب م ، ا ، بلاسيوسي بحثا بعنوان : معاني كلمة التهافت ، فى المجلة الافريقية (رقم 261 – 262) سنة 1906 ص 189 وما بعدها، والغزالي فى تهافت الفلاسفة طبعة بويجس ، بيروت سنة 1927 المطبعة الكاثوليكية ص 10 – 11 ول ، جاردي ، فى : بحث العقل والدين ، بالمجلة الطومية سنة 1938 ص 243 ، فى التعليق ، و ت ج دوبوير فى تاريخ الفلاسفة فى الاسلام نقل ابي ردا القاهرة 1348 – لجنة التاليف ص 217 – تعليق 1 .

2) ت ، ج ، دوبوير ، التاريخ والفلسفة فى الاسلام ص 157 ، لندن 1903 ليزاك ، وج ، قادري : فلسفة العرب فى اوربا فى العصور الوسطى ص 125 وما بعدها، ترجمة هيري باريز 1947 بايو .

3) ابن رشد وتهافت التهافت لندن 1954 ليزاك .

4) وقعت ترجمته بامر عبد الحميد الثاني للتركية بقلم سليمان حسبي ، رئيس المكتبة الملكية ، والنسخة الوحيدة الترجمة بخط المترجم موجودة فى خزانة جامعة اصطمبول تحت رقم 4213 وسيقوم صاحب هذا المقال بنشر ترجمة عصرية له مع تعاليق .

5) فى القرن السادس عشر ابن كمال باشا على هذا المؤلف باللغة العربية .

6) نعني فى هذا المقال بالوحي الديانات الالاهية الموحى بها ولا سيما الاسلام .

7) انظر دائرة المعارف الدينية للستينج ج 10 ص 745 .

المسيحيون (8) والمسلمون (9) انفسهم ازاء نفس القضية (10) .

والذين رموا في العالم الاسلامي الى التوفيق بين الفلسفة وبين الدين فيما يرجع للمسائل القائمة من الوجهة التاريخية والاجتماعية (11) او لمعارضة بعض آيات القرءان يدعون بالمتكلمين اذا كان اساس نظرهم الدين او الفلاسفة اذا كان اساس مبداهم الفلسفة(12).

وقد ارادوا ان ينسقوا بين الفلسفة وبين الدين فيما يخص المسائل المشتركة ، مثلا : هل العالم ابدي لا بداية له ؟ هل للعالم خالق ؟ هل تعدد الآلية ممكن ؟ ما هي ماهية الله وصفاته ؟ هل يمكن لماهيته تحديد ؟ هل السماء حية ؟ ما هي اسباب حركاتها ؟ هل تعرف نفوس السماوات الجزءي ؟ ما هي طبيعة النفس ؟ هل البعث وسائر الخوارق ممكنة ؟ كل موضوعات التهافت راجعة لهذه المسائل .

والوصول الى الحكم على العلاقة الموجودة بين الفلسفة وبين الدين طبقا لما في كتب (التهافت) سنحاول ان نجيب في هذا المقال على الاسئلة الاتية :

1) ما هي حالة كل شرح ENONCES من كل كتاب تهافت بالنظر الى النقطة الاولى عند مؤلفه .

2) ما هو موقف كل كتاب تهافت من الآخر ؟ .

3) ما هي قيمة كتب التهافت من جهة علاقة الفلسفة بالدين ؟ .

وهكذا سنتمكن من دراسة افكار المؤلفين المذكورين ، ونصلح الاغلاط التي وقعت فيما يرجع لكتاب التهافت لهواكازادة .

ا ـ لقد اوضح الغزالي غاية (التهافت) في الخطبة والمقدمات الاربع لكتابه ، وهذه الغاية تعمل على اثبات بطلان افكار الذين ينكرون الدين مدعين ان النظريات الفلسفية تهيمن على جميع البراهين الكلامية وبعض المسائل الطبيعية ، وذلك عن طريق الاستدلال بمختلف الحجج المستمدة من المذاهب المتناقضة احيانا ، ويرى الغزالي من المحقق ان للفلاسفة براهين ضرورية في سائر العلوم الرياضية وبعض العلوم الطبيعية ، ولكنهم لا يملكون براهين مماثلة في علوم الالاهيات ، واذن فيجب التنبيه على التناقض الذي حصل في افكار الفارابي وابن سينا فيما يخص المسائل المشتركة بين الفلسفة وبين

---

8) فلاسفة اليونان لا يعالجون الشكل الشعبي للدين على انه وحي ، ويقول ميلون اليهودي : ان الكتب الخمسة للعهد القديم موحى بها ، وهي قانون الدولة ، وهي تامة ، ونفس الحقيقة ، بينما الفلسفة خادمة العقل يعني من المنشئات ا ، ه ، وولفسون ، الفلسفة ج 1 ص 139 – 145 – 150 ط 2 لكمبردج 1948 الطبعة الجامعية .

9) من جهة يجب تبيين فكرة ايجاد المعدوم الذي هو اجنبي تماما عن فلسفة اليونان ، ومن جهة اخرى مناقشة التثليث الذي هو مستحيل عقلي ، وكذلك مسالة البعث والحلول والخلاص ، انظر ووبير في تاريخ الفلسفة الاروبية ص 132 الطبعة التاسعة باريز 1925 فسكاشرا .

10) يجب ان ننبه الى انه ليس في العقيدة الاسلامية غيبي ، وايضا فان نظرية المسلمين في العقل تختلف عن نظرية المسيحيين ، انظر جارد قنواتي في المدخل للعقيدة الاسلامية ص 321 و 345 باريز 1948 فرين

المعرب : في الاسلام غيب وشهادة ، ولكنه لا يتنافى مع العقل مثل غيب التثليث المسيحي ، وقد اوضح علماء الكلام ان المقصود بموافقة العقيدة للعقل ان لا تكون من قبيل المستحيل العقلي ، وهو ما لا يتصور في العقل وجوده دون استناد الى عادة او شرع ، فاطلاق الابوين جارد وقنواتي ليس في محله .

11) احمد امين ، فجر الاسلام ص 234 طبعة القاهرة 1945 لجنة التاليف ، وضحى الاسلام ص 8 – 11 طبعة 4 ، 1946 م .

12) المعرب : كلام الكاتب هنا ليس على اطلاقه ، فعلم الكلام ليس مبداه الدين المحض ، ولكن مبدؤه النظر كالفلسفة ، وانما الفرق بينهما هو ان علم الكلام فلسفة اسلامية مبتكرة لا تقوم على الاسس التي وضعها اليونانيون ، ولكنها تقوم على اصول اثبتها فلاسفة المتكلمين ، ضاهوا بها فلسفة اليونان، وان اختلفت عنها، ويمكن تبين ذلك من مراجعة كتاب ابن تيمية (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) وقد بين الاستاذ النشار في كتابه (مناهج التفكير عند المسلمين هذا المعنى ، فاجتهاد المسلمين اتجه اولا من جهة النظر الى استعمال العقل لاثبات اصول اولية ، ثم اعتمدوا عليها في اثبات بقية المبادىء الالاهية وقد بذلوا كل جهدهم لاثبات ان حجج الملاحدة وقدماء الفلاسفة في المسائل المعروضة ليست صحيحة او على الاقل ليست برهانية ، وفي هذا الاطار يدخل كتاب تهافت الفلاسفة كما بينه الكاتب نفسه .

وللمسلمين مدرسة فلسفية يونانية خاصة بهم ، وهي مدرسة ابن سينا وابن رشد وامثالهما ممن اعتمدوا في بداية فكرهم على تعاليم ارسطو وحاولوا التوفيق بينها وبين الدين ، وهو ما لم يصلوا اليه اوضحوا في سبيله اصولا دينية لا يمكن التنازل عنها لتحقيق جوهر الدين ، وهو ما عنى فلاسفة المسلمين من غير المدرسة اليونانية بتوضيحه .

الكلام حسب قواعد المنطق (13)، ولادراك روح الغزالي يجب ان نهتم بهذه المقدمات وان لا ننسى محتوياتها ، وكذلك للحكم على (تهافت التهافت) لابن رشد لان الغزالي بين في هذه المقدمات المصادر المهمة لانتقاداته (14) ولم يزعم قط بانه يعطي فيما يرجع للدين حججه البرهانية بعد ان اعطى الدليل على ان الفلاسفة لا يملكونها .

وبناء عليه فلا موجب لكون (مهران) لا يعطي اهمية لهذه المقدمات (15) ويقبل موقف ابن رشد الذي يرى ابقاءها جانبا ، على اننا سنرى ان ابن رشد كان بعيدا عن فهم مقدمات الغزالي حتى لا يعتبر محتوياتها ، وليس في كتاب تهافت الفلاسفة مكان يسمح لمهران ان يفكر كما يلي : (لقد تخيل الغزالي انه اوضح نظرياته السنية على اساس حجج فلسفية (16)بينما كان ابن رشد محقا حينما اعتبر بعض حجج الغزالي جدلية وصورية ، وليست برهانية) ؛ لانه ليست لهذا اهمية خصوصية بالنسبة للغزالي ، لان هذا الاخير لا يدعي انه يعطي حججا برهانية .

ان الغزالي يرى ، معتمدا فقط على فكرة ضرورة قطع تسلسل لانهائي للعلل ، انه ليس ممكننا ان ننقص من اختصاصات (الفاعل) الذي يجب ان يقطع هذا التسلسل ، وهكذا اثبت باعتماده على هذا الدليل انه ليس للفلاسفة ادلة برهانية على مسائل : توحيد الله وعدم تركيبه ولا جسميته ، وصفاته ، ولا سيما صفة وجوده في كل مكان ، بل انه اثبت عدم ضرورة قطع تسلسل العلل بواسطة فاعل . كما سبق ان فعله الماديون. كما اثبت انه ليس للفلاسفة حجة برهانية على قدم العالم وعلى رايهم في الروح والسماوات (17) وقد عرف كيف يبرر الخوارق حينما ميز بين المستحيل العادي وبين المستحيل العقلي ، كما نبه الى ان علاقة العلة بالمعلول ليست لازمة ، ولكنها عادية ، فمن الحق ان نقول : انه كان سلف (هيم) (18) .

وبهذا كان له فضل في اقامة الحجة مع حرية كبيرة في البحث على ان القياس الذي عرضه ابن سينا لحل مسائل الديانة الاسلامية كثيرة الاهمية ليس قياسا نافعا ؛ نظرا الى انه من جهة يتنافى مع الدين حينما يدعي خلود العالم وينكر المعجزات وعلم الله بالجزئيات ، ومن جهة اخرى يتهافت مع نفسه في مسائل القدرة على الادراك والروح والعلوم الالاهية ، وبما انه قد عالج هذه المسائل بناء على المبادىء الاعم من العقليات فقد كان جديرا ان يعتبر فيلسوفا حقيقيا ، وحينما يقابل ايضا بديكارت يعتبر احيانا من التاثرين على المدارس الرسمية ، وبهذا الاعتبار يمكن القول بان حكم ا ، م بوجنوف على الغزالي بانه (فيلسوف رجعي) ليس حكما علميا ، فثورته تظهر لا في شكل بحثه القضايا فقط ولكن حتى في اسلوبه الذي يصل بالمسائل الى مداها ، ولو كانت النتيجة ضد الدين تماما ، مثلا ، حينما عالج مسالة وحدة الله وصفاته على شكل مشرك ، او مسالة خلود العالم على طريقة ملحد ، فقد عرف ان يتعدى بهذا البحث الحر معلومات المبادىء الاساسية الارسطوطاليسية ، ونقده (للطبع) الذي هو اساس علم الطبيعية الارسطوطاليسية ادى الى هذه النتيجة ، وهي ان علاقة العلة بالمعلول ليست لازمة ، ومن جهة اخرى فقد عرف كيف يقترب من المنطق العصري حينما اعتبر المكن منفصلا عن المادة ، كشرح عقلي لا يعني عكسه الناقض ، كما عرف كيف يقترب من الهندسة العصرية حينما تحدث عن المجال خارج المادة ، وادق نظرياته العقلية رايه عن ارادة الله التي عبر عنها بما ياتي : (لا يقدر الله على عمل الا اذا لم يكن مستحيلا) (19) ولكن

---

13) الغزالي : تهافت الفلاسفة ص 5 – 6 – 9 .

14) كان مينك MUNK الذي فهم الغزالي، على حق حينما انتقد شمولديرس

انظر : مزيج من فلسفة اليهود والعرب ص 372 باريز 1859 .

15) مهران ، درس لفلسفة ابن رشد وصلتها بابن سينا والغزالي بعثة الشرق 1887 – 1888 ص 622.

16) للمناقشات التفصيلية انظر التهافت ص 144 – 193 – 221 .

17) (ابن رشد والرشدية) لرينان ص 89 ط بيشاري باريز 1949 كالمان ليفي ، وابراهيم مذكور : مكان الغزالي في مدرسة الفلسفة الاسلامية ص 54 باريز 1934 الدار الجديدة . وقادري : الفلسفة العربية ص 123 – 135 وصليبة : الغزالي وزعماء الفلاسفة صحيفة 512 .

18) التهافت ص 293 ويجب التنبيه الى الفرق الكبير القائم بين الغزالي وبين الرشديين المسيحيين في القرن السادس عشر الذين يقبلون النظرية الارادية التي تقول بامكان الالاه ان يجعل المستحيل ممكنا ، وعليه فيمكن وقوع الشيء وضده في آن واحد ، وانظر ساسان في : سيجرد وبربان وعقيدة (ازدواج الحقيقة ص 179 ؛ مجلة المدرسة الكلامية الجديدة للفلسفة Neoscolastique de la PHILOSOPHIE عدد 29 ، المشرق 1939 ؛ وايضا جونيير. نظرية ابن رشد في صلة الدين بالفلسفة ص 57 ، باريز 1909 .

19) التهافت ص 65 – 66 .

من الصعب توفيق هذه الجملة مع معقوليته (20) (يمكن ان يكون الشيء ممكنا في وقت مستحيلا في وقت آخر) وان لم يقل هذا الا مرة واحدة (21) .

ولكي يوجه انتقاداته ، يدلي احيانا ببعض الاراء دون ان يبرهن عليها مثل : (اذا اراد الاله فعل ، وان لم يرد لم يفعل) (والفاعل الحقيقي هو الذي يوجد الشيء من العدم) فارادة الله بهذا المعنى قادرة على ان تختار ايضا فعل احد من الممكنين .

واقع نجاحه في اثبات انه ليس لابن سينا ادلة برهانية على عدم بعث الاجسام ، وفي صفات الذات الالاهية ، لا يعطيه الحق لاستخراج نتائجه الضرورية لمعرفة موضوعاته عن طريق النبوة (22) فقط لان هذه الحقيقة ليست نتيجة ضرورية لنقده المصيب ، ولكنها مبدا على حدة .

ب ــ وغاية ابن رشد في (تهافت التهافت) هي تحديد قيمة كلام الغزالي في كتابه (تهافت الفلاسفة) واثبات ان معظم كلامه غير صحيح (23) وقد ابلغه غرضه حتما الى البحث عن معرفة هل من الممكن التوفيق بين الفلسفة الارسطوطالية وبين الديانة الاسلامية والوصول الى حقائق الوحي عن طريق القياس البرهاني ؟ وامر ابن رشد في المسائل الراجعة لله نفسه يظهر هكذا : (للتخلص من فكرة تعدد الالاه ، ومن نظرية الالاه المركب الناشئة عن محاولة تعريفه ، يجب قبول فكرة وجود نوعي ، تختلف افراده بدرجات الشرف والاسبقية الزمنية)) والحال ان هذه الفكرة ليست شرحا ، لانها محتاجة لان تشرح هي نفسها ، واذن فلم يقم الحجة بصفة برهانية على ضرورة قطع التسلسل في العلل بعلة نهائية .

لقد انتقد حقا وضع الغزالي حينما اخذ هذا الاخير كقاعدة لنقده ، فكرة ارادة قادرة على خلق المعدوم ، ولكنه قبل في العمق نقطة بداية الغزالي حينما اكد عدم وجود دليل برهاني لمسالة ارادة الله لا للفلاسفة ولا للمتكلمين وكذلك لمسالة الروح ، اما عن مسالة المعجزة فقد زعم ابن رشد ان لكل موضوع (طبعا ضروريا) وهو يرى كما قاله الغزالي : (اذا كان للضدين امكان الوقوع وجب ان يوجد الشيء وضده في آن واحد) على ان نظرية (الطبع) كما اعتقدها لا يظهر امكان تبريرها بمبدا الهوية ، لان هذا المبدا يعبر عن الشيء لا عن سبب وقوعه .

ويمكن ان نجد في (تهافت التهافت) موقفين لابن رشد : (تارة يوافق الغزالي وتارة يخالفه ، وقد انتقد ابن رشد مثل الغزالي ابن سينا، بل احيانا كان اشد في نقده لابن سينا من الغزالي نفسه، خصوصا في المسائل المهمة

---

20) المعرب : يظهر ان كاتب المقال لم يفهم مقصود الغزالي هنا ، فصاحب التهافت لا يقصد بقوله : (ما كان ممكنا في وقت يصير مستحيلا في وقت آخر) امكان وقوع المستحيل العقلي ، لانه بين ان قدرة الله لا تتعلق بالمحال العقلي ، وانما قصده ان ما كان ممكنا كالماضي يصير بمروره مستحيل الرجوع او عدم الوقوع لانه قد وقع ، ولا يمكن رد الزمن الى وراء ، والا لزم عليه ان تكون في الحاضر والماضي معا ، ولم يقل الغزالي ان المستحيل يصير ممكنا ، واذن فلا تناقض في كلامه ، اما الرشديون المسيحيون فقد ادعوا عكس قضية الغزالي ، فقالوا ان المستحيل يصير ممكنا ، وهذا ما يتنافى مع المنطق الذي يسلم بعدم وقوع المستحيل العقلي ، وهو ما اجمع عليه فلاسفة الاسلام ، سواء رجال المدرسة الكلامية او رجال المدرسة الارسطوطالية او غيرهم.

21) التهافت 353 .

22) المعرب : يفهم الكاتب ان جملة الغزالي : (اذا اراد الالاه فعل ، وان لم يرد لم يفعل) مجرد اقرار لمبدا لا يصحبه برهان ، وهذا غير صحيح ، فالغزالي يضع برهانه في جملته ، لان ذكر الالاه قصد به الاستدلال بهويته على صفة ارادته ، فالغزالي يعتمد على ان وجود الالاه معترف به من الذين يجادلهم وتلك هي المقدمة الاولى . ثم ياتي بمقدمة كبرى وهي ان الالاه اذا اراد فعل الخ . . . وهي تعادل ما لو قال : وكل الاه لابد ان يوصف بانه يفعل ما يريد ، والكل متفق على ان ماهية الالاه لا تتحقق الا بقدرته على الخلق دون ان تحده الممكنات .

ومثل هذا يقال في الجملة الثانية وهي : (الفاعل الحقيقي هو الذي يوجد الشيء من العدم) فان فيها برهانا ، لان من يركب المنحل ويحل المركب يصنع الامر من مواد سابقة ، والفاعل الحقيقي هو الذي يوجد هذه المواد من لا شيء ، وهو الذي يستحق اسم الالوهية ، لانه الفاعل الذي يقطع تسلسل العلل ، فليس في كلام الغزالي تناقض ، خلافا لما فهمه كاتب المقال ، وجملة الغزالي هنا شبيهة بقوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) ففي الثانية حجة برهانية لمن يقر بوجود الاه ، وانما ينازع في وحدانيته ، وهو المقصود بالخطاب، لانه اذا اعترف بوجود الاه، وكانت ماهية الالاه لا تتحقق الا بتنفيذ ارادته المطلقة وكان هنالك الاه ثان بكامل الماهية ، تناقضت الارداتان ووجب تحققهما معا وهو ما لا يمكن ، وما تفسد معه السماوات والارض .

23) تهافت التهافت ص 532 المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة 1930 .

كوجود الاه واحد ، وخلود العالم ، والروح ، ولم يعط وسيلة لنقل افكار ارسطو الى معطيات الوحـــي دون الوقوع في تناقض ، وحينما فر من مسالة التوفيق حاول ان يقول : (ان الحجج البرهانية توجد في كتب ارسطو فيجب الرجوع اليها) وحينما قال : (فيما يخـــص المسائل الدينية نقط لا يستطيع العقل ادراكها) فقـد قبل رغما عنه اساس انتقادات الغزالي ، واذن فليس من الممكن قبول حكم جوتيير (لقد قدم ابن رشد كتـاب تهافت التهافت كدفاع مسند ، ضد الغزالي ولفائـدة مذهب الفارابي وابن سينا) (24) وهكذا لا يكون كتاب ابن رشد في الحقيقة كتاب (تهافت التهافت) لقد انتقد ابن رشد الغزالي بحق ، لانه لـم يعطنا معيار علـــوم EPISTÉMOLOGIQUE لما يتعلق بارادة الله وبايجاد المعدوم ولكن من العدل ان نعترف بان الغزالي لم يدع ابدا انـه ادلى بادلة برهانية على هذا الموضوع .

لم يستطع ابن رشد في اثناء دراسته الخروج عن علوم ارسطو في نظرياته عن الطبيعة والمعجزة والمجال والازمنة ، ورغم انتقادات الغزالي فقد بقي متعلقا ببعض نظرية ارسطو وبامامة ارسطو نفسـه وقد جاء ببعـض الايات القرءانية لتوضيح بعض المسائـل كتعـدد الالاه ومعنى الروح ومصدر نظرية (الطبع) (25) ولكنه نبه على ان بعض نظريات ارسطو اولت على غير معناها عند الغزالي او حتى ابن سينا ، وقد دافع عن قوانيس الكون وكذلك عن مشروعية العقل والعلم ازاء ارادة مطلقة ، معتمدا على فكرة (الطبع) ولو لم تكن لهذه الفكرة قاعدة منطقية ، وقد جاء بانتقاد عادل لزعم الغزالي : (يمكن للمكن ان يصبح مستحيلا) ولتتويج الكل قـال : (ان الفلاسفة جديرون بالاحترام لانهم يبحثون عن الحقيقة وان لم يملكوها بعد) .

ويتلخص مما ذكرناه ان ابن رشد اخذ في (تهافته) المواقف الثلاثة الآتية :

1) زعم ان النظرية الارسطوطاليـسية (قالب) مقبول لتبيين الدين .

2) رفض نظرية اردة الله كما عرضها وحددها الغزالي .

3) عوضا ان يقدم لنا (قالبا) مقبولا للدفاع عن الدين ، منع ان يبحث امر الدين امام الجمهور وأمـر بقبول تعاليم الدين كما هي .

ولا يمكننا ان نشرح هذه الجوانب غير المتماسكة من تفكيره بالنسبة لغايته الا اذا راعينـا نظريتـــه في (ازدواج الحقيقة) .

يرى ابن رشد ان التفلسـف واجـب بمقتضـى شريعة الاسلام ، والفلسفة هي اخت الدين ، والفلسفة حقيقة ، والدين كذلك حقيقة ، وفي الواقع هذه الحقيقة المزدوجة مكونـة من جـانبـي حقيقـة واحـدة (لان الحقيقـــة لا يمكـــن ان تكـــون ضـــد الحقيقـة) فـاذا كانت الاية القرءانية الصريحة تمس جوهر الدين فمن الممنوع قطعا تأويلها ، فاذا كانت لا تمسه ، فمن الواجب على ذوي الحجة البرهانيـة ان يتأولوها ، بينما من الممنوع قطعا على ذوي (الحجـة الجدلية) ان يفعلوا ، كما انه من الممنوع على البرهانيين ان يذيعوا تأويلهم على الجدليين) ولا ينبغي ان يتحدث للجمهور لا على التاويل الحق ولاعلى التاويل الباطل (26) والحق ان ابن رشد في كتابه (فصل المقال) حل مسألة العلاقة بين الفلسفة وبين الدين بصفة واقعية كما سبق ان قاله جوتيير (27) وان كان ابن رشد في هذا المؤلف يلح في التوفيق الضروري بين الفلسفة وبين الديـن . ونستطيع ان نتساءل: هل وصل لذلك؟ ويجيب جوتيير بان ابن رشد حينما يكون مفوضا FIDEISTE امـام الجمهور وعقليا امام الفلاسفة ، يرى علاقة ايجابية بين الدين وبين الفلسفة ، ولكن جوتيير لم يضع مسألـة ما اذا كان ابن رشد قد وفق من جهة النظر الفلسفـة الارسطوطاليسية مع الديانة الاسلامية ؟ واذن فقد كان من المنتظر ان يمس هذا الجانب من الموضوع .

ويظهر من الكلام الثاني لجوتيير ان ابن رشد يميز الفلسفة من الدين عوضا ان يوفق بينهما وهـا هـي : (النصوص الجديدة لابن رشد تظهر بوضوح ان غاية الدين ليست من النوع النظري ولكن من النوع الاجتماعي

---

24) من هذه الجهة لم يبالغ ابن سبعين حينمـا انتقد ابن رشد ، انظر ماسينيو : ابن سبعين والنقـد النفسي في تاريخ الفلسفة الاسلامية ، وروجييـر في : (الفلسفـة الكلاميـة والطوميـة ص 346 – 348 ، ومعقولية ابن رشد من دراسة للخلق ص 55 نشـرة الدراسة ، المشرق ، دمشق 1954) فقد اشاروا بنفس التلميح لعمل ابن رشد العقلي ، وعليه فليس من الممكن ان نقبل راي هوار HUART الذي اعتبر ابن رشـد (كأعظم وجه مدافع عن حرية البحث ضد الغزالـي) انظـر الجريـدة الاسيوية 15 المجموعـة العاشـرة 1910 ، ص 355 – 357 .

25) تهافت التهافت ص 520 .

26) فصل المقال ص 8 – 19 – 21 – 32 وبهذا الاعتبار عد ابن رشد الغزالي ملحدا حيث انه عالـج المسائل الدينية امام الجمهور .

27) النظرية ص 111 .

... واحسن الديانات ليس الاحق ... ولكن احسن الديانات هي التي تكون رموزها اكثر تاثيرا على نفوس العوام) ومن جهة اخرى فقد اتهم التمييز في خلاصة رايه قائلا : (ان ابن رشد معقولي مطلقا حينما يتكلم مع الفلاسفة ... وهو ضد المعقول مفوض ، حينما يتجه الى العوام) (28) .

وبناء على هذا فليس من الممكن ان تقبل هذا القول: (نظرية ابن رشد في توافق الدين والفلسفة اسست ـ على اساس عقلي ـ علم كلام فلسفي كامل) لا من جهة النظر ولا من جهة الواقع (29) وكذلك لا يمكننا ان نقبل راي دونكور DONCŒUR حينما يدعي ان ابن الطفيل وابن رشد حلا المسالة حينما قسما الجمهور الى نخبة والى عوام لان تقسيم الجمهور الى نخبة والى عوام (30) ليس حلا للمسالة ، ولكنه اولى بان يعتبر حذفا لها ، لانه سيبقى لهذه النخبة نفسها صعوبات ، لمعرفة استحالة التوفيق بين النظريات الارسطوطاليسية والاسلامية في شان الله ، ونظرية ارسطو في خلود العالم وفي ايجاد المعدوم، خصوصا ونحن لا نجد في (فصله توفيقاحقيقيا، لان ابن رشد يتهم بالالحاد اولئك الذين يتاولون الايات الصريحة ويقبل البواكير PREMISSES المشتركة والمتيقنة كحجة برهانية (31) ، وهكذا يخلط بين اليقين العقلي وبين اليقين النفسلوجي ، والتوفيق الحقيقي يجب ان ناتي باقناعات منطقية لا نفسلوجية .

ويمكن ان نزيد على هذا التعارض ، ما يؤدي اليه، هذا الكلام : (في مسالتي المعجزة والروح ليس للمتكلمين ولا الفلاسفة حجج برهانية) و (لا احد يعرف اختصاصات العلم الالاهي الا اذا كان الالاه نفسه (32).

انتقد جوتيير في مقال متمم لنظريته فكرة روجيير (33) التي تقول باستحالة التوفيق بين الفلسفة وبين الدين ، والواقع ان نقده صحيح حينما يريد توضيح الفوارق الموجودة بين تعاليم الاسلام وتعاليم المسيحية ، ولكنه لا اثر له على استنتاج روجيير الذي عبر عنه بهذه الجملة: (الحقائق الموحى بها لايمكن ان تتفق مع الفلسفة الارسطوطاليسية) (34) والحاصل ان ابن رشد حينما عارض الغزالي في اعتقاده التوفيق لم يوفق بين الديانة الاسلامية وبين الفلسفة الارسطوطاليسية ، بصفة مقنعة ، يعني بحجج برهانية ، والقول بان الحجج موجودة في كتب ارسطو يعتبر نكولا لا اظهارا .

ج ـ اما هواكازادة ، فغايته في كتابه (تهافت الفلاسفة) هي في قوله : (اذا كان للفلاسفة نجاح كبير في الرياضيات والحساب ، وفي المنطق ، فان لهم اغلاطا في الالاهيات وفي قسم من الطبيعة واساتذة التوحيد حرروا مصنفات لاظهار هذه الاغلاط ، ومنهم الغزالي ، وقد امرني الخليفة ان اؤلف كتابا آخر ، واذا اردت ان اشير لبعض نقط الضعف من كلام الغزالي فلكي اوضح ما اقبله وما لا اقبله ، لا لانني اريد التنقيص من قيمته فاذا اتيت في هذا المصنف بما قاله الغزالي وبما تركه جانبامن عقائد الفلاسفة فيما يرجع للدين والطبيعة فانما اريد صد هجمات بعض المتفلسفين متوجها الى اهل الحقيقة، راد اشبه الضالين) (35) .

يرفض هواكازادة في مسالة الالاه نفسه زعم الفلاسفة ان تعريفه يؤدي الى القول بطبيعة مركبة ، فهو يشاطر نظرية ابن سينا الذي يعتقد ان الصفة عين الموصوف (36) ولكنه لم يجب باسم الفلاسفة عن نقد الغزالي ، وهو يتردد في مسالة صفات الله ، وفي امر علم الله بالجزئيات ويثبت بصفة مغايرة للغزالي ان الفلاسفة تنقصهم الحجج البرهانية، ولكنه لم يعبر بوضوح وتمييز عن اتجاهه الخاص ، ولم يقبل اتهام الغزالي لابن سينا في مسالة علم الله بالجزئيات ، ولم يات في مسالة خلود العالم بجواب ، بل ترك نظريتي الفلاسفة والمتكلمين دون توفيق، اما في المعجزة وعدم مادية الروح فقد ردد تقريبا ما قاله للغزالي ، بينما نرى له اتجاها ارسطوطاليسيا في مسالة عدم بناء الروح وكذلك فيما يرجع لنظرية الممكن، وحينما انتقد راي الفلاسفة في مسالة التمتع والعقاب

---

28) المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية ص 130 ـ 131 باريز 1923 لوروكس .

29) جوتيير ، ابن رشد ص 226 باريز 1938 .

30) الدين واساتذة الرشدية ، مجلة العلوم الفلسفية والكلامية 1911 . 5 . ص 491 .

31) الفصل ص 18 ـ 19 .

32) تهافت التهافت ص 443 .

33) اقيسة كاذبة للجدل des PAROLOGISMES du SYLLOGISME 1910 والعلوم الكلامية والطومية1925

34) علم الكلام الاسلامي ص 238 ـ 240 ـ 356 ـ 357 .

35) تهافت الفلاسفة ص 5 القاهرة 1302 (1885) المطبعة الاميرية .

36) في هذا الموضوع انظر جواشون في (الفرق بين الجوهر والوجود عند ابن سينا) باريز 1937 برووير .

الجسميين بعد الموت ، بين استحالة الوصول الى نتيجة بالاعتماد على العقل وحده، وعلى الرغم من عدم وضوحه فى بعض المسائل فقد اثبت بتعمق انه ليس للفلاسفة حجج برهانية فى مسائل الدين ، ويتبين من اسلوب حله للمشاكل دهاؤه فى تطبيق قواعد المنطق بدقة ، وليس من السهولة المطلقة ان نجد لديه شعورا بضرورة نقد منطقي عميق يشبه ما نجده عند الغزالي ، وعليه فقد بقيت افكاره غامضة وموزعة ، ولكن يجب ان لا نهمل القول بانه انتقد الغزالي حينما حرف هذا الاخير كلام ابن سينا عن قصد او غير قصد ، وقد عارض راي ارسطو فى (الطبع) قائلا : (ان الحجارة المرمية فى الهواء، حينما تسقط تظهر انها فارقت المكان الذي امتدت اليه طبقا لوظيفة طبعها) وهذا تناقض ، لانه ليس من الممكن ان تمتد الى مكان فارقته بالطبع ، وكذلك انتقد النظرية التي تقول بان الكواكب ترتكز على محورها الالاهي مقدما الاحتجاج الاتي : تشهد الملاحظة بحركة الكواكب فقط لا بارتكازها (37) ، ولكن لنترك جانبا مناقشة رايه المتعلق (بالطبع) او بالارتكاز) .

اما حالة كتب التهافت المتبادلة فيمكن ان يقال فيها : (ان الغزالي انتقد ابن سينا وارسطو معتمدا على آراء ابن سينا نفسه ، اما ابن رشد فقد انتقد بدوره ابن سينا بناء على مبادىء ارسطو ، فيؤول الامر الى ان كلا من الغزالي وابن رشد انتقد ابن سينا ، وعليه فالادعاءات التي تزعم ان ابن رشد دافع عن الفلسفة فى كتابه (تهافت التهافت) ضد الغزالي محتاجة الى تدقيق وللوصول الى توفيق حقيقي معتمد على ادلة برهانية ، فليس مهما ان يقال ما قاله ابن رشد : ان الادلة البرهانية موجودة فى كتب ارسطو ، وعليه فلا يمكن ان يقال بناء على مجرد اسم (تهافت التهافت) ان ابن رشد هدم نظرية الغزالي . وقد دافع هواكازادة رغما عن تضامنه مع الغزالي عن ابن سينا فى نقط كثيرة ، ولكنه ايضا لم يصل الى توفيق نهائي ، وليس صحيحا ما قيل من ان تهافت الفلاسفة لهواكازادة يرمي الى مقارنة بين كتابي التهافت للغزالي وابن رشد ، كما زعمه كتاب اتحاف السادة للزبيدي شارح الاحياء ، وكما ورد فى الطبعة الاولى للتهافت المؤرخة سنة 1302 هجرية ، اذ احالت على كشف الظنون ، وكاتب سلبي (حاجي خليفة) والسكايك لسكوبرزادة ، فليس فى نصوص هذه الكتب ما يدل على المدعى ، فتعليق كاتب سلبي لا يقول اكثر من ان هواكازادة كتب بامر محمد الفاتح كتابه تهافت الفلاسفة ليقارن تهافت الغزالي باراء الفلاسفة (38) ، وقد وقع نفس الغلط فى فهرس سركس وفى (مفكري الاسلام) لكارادفو ، وفى مدخل سارتون وفى بعض مؤلفات الاتراك ، ولكن هنالك مؤلفات اخرى تظهر باخلاص غاية هواكازادة وتقول : ان كتابه عبارة عن مقارناته بين مؤلف الغزالي وبين آراء الفلاسفة لا بينه وبين كتاب تهافت التهافت لابن رشد او ابن رشد نفسه ، ومن جهة اخرى فهواكازادة لم يقم باية مقارنة فى كتابه بين تهافت الغزالي وتهافت ابن رشد ، بل انه لم يذكر ولو مرة واحدة اسم ابن رشد ولا عنوان كتابه .

اما موقف كتب التهافت من مسائل الدين والفلسفة فيمكن ان نقول : انها لم تصل الى درجة احداث انسجام بين العقل وبين الايمان كما فعله فليون FHILON وترتولين TERTULIEN والقديس اوغستان ، وطوماس ، وليبنيز ، وايضا فانه ليس فى القرءان غيب لا يتصور العقل وجوده كغيب التثليث او الحلول او الفداء ، لان هذه من الغيب المسيحي ، ولذلك لم يهتم فلاسفة الاسلام بمسالة تناقض العقل مع الدين، وكذلك يمكن التاكيد بان كتب التهافت الثلاثة لا ترمي الى اثبات الديانة الاسلامية ولا سيما بالنسبة للغزالي ، خلافا لما زعمه مهران MEHREN فليست الغاية اقامة البراهين امام الفلاسفة على صحة الديانة الاسلامية للدفاع عنها ولا لقلب بعض الانظمة الفلسفية على بعض كما فعل تيمون السيلوغرافي le Syllographe Thimon خلافا لما زعمه ويبر WEBER (39)، بل الغاية المقصودة من هذه الكتب هي نقد ادعاء الذين يزعمون انهم وضعوا (قالبا) ناقعا مقنعا مشتملا على حجج برهانية لتبيين المسائل الاساسية للعقيدة الاسلامية ، لانه بالاعتماد على فكرة ضرورة قطع التسلسل اللانهائي للعلل ، لا يمكن اثبات ضرورة قبول التوحيد وانكار الازدواج او الشرك بصفة مطلقة ، فان العقل يمكن ان يحكم على الروح كما لو كانت حاجة مادية ، ولكنه لا يمكنه ان يؤكد بصفة قاطعة هل هي مادية ام لا ، وكذلك بالنسبة للعالم ، وللذات الالاهية ، فاذا فكر العقل فى هذه المسائل استخرج بعض النتائج الممكنة ، ولا يمكن ان يؤكد اية هذه الممكنات يتحقق ! يمكن للعقل – كما قال الغزالي – ان يفكر فى الحالات ولو كانت متناقضة ، وبهذا فان له الجدارة الكبرى ان يثري بمحتويات الفكر الذي يتصوره العقل ،

---

37) هواكازادة فى تهافت الفلاسفة ص 86 .

38) ا – عدنان (العلوم عند الترك العثمانيين من البداية الى آخر العصور الوسطى) ارشليون ص 356 – 19 – 1937 .

39) هورتن فى الفلسفة من دائرة معارف الاسلام .

والكتب الالاهية هي التي تستطيع ان تؤكد اية هـــذه الممكنات يتحقق ، وحينما لا يستطيع العقل ان يتجـاوز حدوده تظهر مواطن ضعفه .

وهكذا يصل الغزالي الى نقطة ينفصل فيها الدين عن الفلسفة ، لا لان الديانة الاسلامية متعارضة مـــع قانون العقل العام كما هو الحال بالنسبة للعقيـــدة النصرانية ، ولكن لانه لا يمكن للعقل وحده ان يؤكـد اية الممكنات يتحقق ، وقد وصل ابن رشد لنفس مـا قاله الغزالي حينما اكد امكان الاتفاق في المسائل الدينية على خصوص النتائج الجدلية لا على البرهانيات، وحينما قبل نقد الغزالي ، وقد ادى فعل ابن رشد الى فصـل الديانة الاسلامية عن الفلسفة الارسطوطاليسية بصفة لا تقبل التوفيق ، حيث انه لم يقبل اولا تحديد الغزالي لارادة الله كجواب على مسالة ما وراء الطبيعة ، لمـــاذا الوجود واللاوجود ؟ وثانيا لانه فسر الخلق بتحويـل الشكل لا بايجاد المعدوم (40) .

والخلاصة ان مؤلفي كتب (التهافت) اذ لم ياتوا بادلة برهانية ، كونوا توفيقا حقيقيا بين الفلسفة وبين الدين .

عن مجلة الدراسات المتوسطة
ETUDES MÉDITERRANÉENNES

---

40) وعليه فلا يمكن اذن التوفيق في العمق بيـن الفلسفة الارسطوطاليسية وبين الديانة الاسلاميـــة ، انظر جولد زهير في كتابه : موقف اهل السنة القدماء بازاء علوم الاوائل ، تعريب عبد الرحمان بـدوي ، في (التراث اليوناني) ج 2 ص 125 ــ 126 القاهـــرة 1946 . مطبعة النهضة . وانظر اللار في (معقوليـة ابن رشد) ص 53 .

جراة صبي

بينما كان امير المومنين عمر بن الخطاب سائرا يوما في الطريق اذ وجد صبية يلعبون ، فلما رأوه من بعيد فروا هاربين ما عدا واحدا منهم ، هو عبد الله بن الزبير ، فقال له امير المؤمنين : لم لم تفر كاخوانك ؟ فقال عبد الله في هدوء وثبات : لم اكن مذنبا فاخافك ، ولم يكن الطريق ضيقا فافسح لك . فسر امير المومنين وربت على ظهر الطفل وقـال لـه سيكون لك يابني شان كبير .



للأستاذ الكبير
السيد المختار السوسي

3

في ضيافة حماد :

كنت كتبت اليه من مراكش هذه الرسالة :
مراكش 23 – 4 – 1340 هـ
عزيزي الدكتور النابغة السيد حماد .
انني في طريقي الى فاس ، وسالم بجنابكم يوم الخميس 28 ربيع الثاني ، فارجو ان اجدكم في انتظاري هناك ، والى اللقاء . فــلان

وصلت دار الدبيبغ حيث يقطن الدكتور ، فدخلت الخادم ببطاقتي ، فخرج على الهيأة التي كنت اعرفه بها من قبل ، سراويل طويلة ، وصدرة مفتوحة الازرار، قصيرة الكمين ، عاري الاعضاد الى المنكبين ، فصافحني بيد ، وفي اليد الاخرى لفافة التدخين ، ثم رد اللفافة الى فيه بعد ما تبادلنا التحية، فتقدمني الى بهو مؤثث تاثيثا غربيا ، فيه كراس مصفوفة حول منضدة ؛ وعلى الجدران معلقات من الاسلحة البلدية ، الى تصاوير مختلفة ، فقدم الي مقعدا وجلس على آخر ، فلم نمكث الا دقيقتين حتى افعوعم جو البهو على اتساعه بالدخان من فيه ، فانه لا ينقطع ما بين يديه وشفتيه ؛ ثم انه غمز زرا فاتت الخادم فقدمت الي جاما فيه القهوة ، واليه جاما آخر تدل نكهته على ما فيه ، فاتى كل واحد منا على ما في جامه ، ثم لم يلبث ان انحلت عقدة لسانه بتاثير ما تناوله ، فطفق يثر على بآخر الاخبار اليومية المنشورة بعد الزوال من لندن وباريس ونيويورك ، ويقول فاز فلان في السباق في باريز وانتخب اللورد فلان في مجلس اللوردات لرياسة اللجنة التي تبحث في القضية الهندية ، وانتحر المليونير فلان في نيويورك ، فتركته يتخطى اخبار السباقات والانتحارات الى ما يتعلق بنجوم السينما ، وانا ابسم له واخالقه ، واظهر اليه ان كل ما هو فيه مستحلى عندي مقبول لدي ، ثم كانه شعر بان المكان ضاق فيه صدري فاستاذن في جولة

خارج الدار ، فخرجنا وفي يده محجنه الذي يشير به يمينا وشمالا ، وسار وهو يتاود ، وكلما مرت آنسة اجنبية يشير اليها من بعيد وتشير اليه ، وربما وقف معها تريه صورة من جريدة او تستفسره عن اخبار عالمية ، فكنت انتحي جانبا حين يواقف احداهن حتى يفرغا من الحديث ، ثم مررنا امام دار السينما فشرع يشير بمحجنه الى صور معلقة في الجدار يبين لي اسماء اشخاصها ، فلم نزل كذلك نحو ساعة ، ثم جلسنا في مقهى ، فسأل الخادم عما نشرب ، فذكرت انا له شراب الرمان — وكنت اشتهاه دائما — وذكر له شرابا آخر لا اعرفه ، ثم شرع يمدح جو دار الدبيبغ ويذم بكل ما اوتي من ذلاقة لسان جو المدينة ويقول : انها طافحة بالمكروبات ، ولا ادري كيف تسمح ادارة الصحة بترك الناس يسكنونها ، فقلت له : ان مثل ذلك الجو لا يضر من يالفه ، وخصوصا من تربى فيه من صغره ، فقال . الى متى نمدح امثال هذه الاطلال ، ونسميها بالمدن ؟

ثم حملق الي حملقة ارتعت منها ، وقال : لو كانت ذات يدي تتسع لسكنى اوربة لما رايتني بعد هنا ، فان الحياة هنا لا يطيقها مثلي ولا يستطيعها ، ولكن ان نجح هذا العمل الذي افتتحته اخيرا فانني ساطلق هذه البلاد الى بلاد المدنية الوهاجة ، حيث يتربى اولادي تربيةحرة ، واصرح انا كذلك بافكاري حيث لا اجدازاءي اخا يضايقني ، ولا جارا ينظر الي شزرا ، فانني هنا غريب، فلولا الاجانب لما وجدت لي معاشرا ، ولا اتخذت سامرا ، فاما هؤلاء الذين ولدت من احدهم فانهم ينبذونني وانبذهم ، وينفرون مني وانفر منهم ، اوليس من العجيب الغريب الذي يستوقف الانظار ويحير الافكار انهم صاروا يؤاخذونني حتى في الحرية

الشخصية ، فيحبون ان اسحب امثالهم ذيول ما البس، فلا اجول الا فى الفضفاض المتدلي الاكمام ، ولا يزال ما على راسي مكوما بما يسمونه العمامة ، وما هي الا عش غراب كبير ان تراءى للاعين من بين افنان الاشجار ؟ فما هذه الهمجية الواسعة النطاق ؟ افيعيش هؤلاء فى هذا القرن العشرين حقا ؟ افوصلت هؤلاء ما اعلنته ثورة 1789 م من حقوق الانسان من الحرية والاخاء والمساواة ؟ ولكن كيف يعرف ذلك من يجهل وقوع ذلك الحادث العظيم يوم كان نسف الباستيل اساس الحرية والاخاء والمساواة فى العالم ؟ يوم قام ميرابو يعلن على العالم ما يعلن .فان جهلوا ما وقع اذ ذاك فى هذا العالم القديم الذي تحت آنافهم فكيف يدرون ما قام به وشنطون فى العالم الجديد فى ذلك العهد ؟

فتركت الدكتور يتفيهق بلسان ذرب بكل ما يضمره لامته من سوء ، وبوده ان تاتي دولة غربية فتحملها بالقوة على نبذ كل ما يسميه غباوة من الاديان والاخلاق الفاضلة ، ولكن الدول الغربية ادهى واعقل من صاحبنا ، فان كل دولة منها تمكنت من مثل هذه الامة تحاول ان تبقى على ما وجدته متاصلا فيها من دين وخلق وجمود ، فلا ترتاع الا يوم ترى سوى ذلك لما لها فى ذلك من مآرب اخرى .

وعند غروب الشمس تملصت بلطف من صاحبي حتى اديت شعيرة ديني ، فلحقت به وهو لا يزال يتسكع فى الشارع الكبير فى دار الدبيبغ ، فقال: ان وقت العشاء قد حان ، فيلم لنقضي منه قبل ان يفتح الفصل الاول من رواية تمثيلية عالية المنزع ، يتخللها رقص آنسة خلابة طائرة الصيت فى العالم ، وهي نجمة جديدة كسفت كل نجوم السينما المعروفة ، فاسرع اسرع قبل ان تفوتنا لحظة من ذلك ، فنخسر اسعد ساعة من اعمارنا ثم لا نجد لها عوضا ، فمدت المائدة المحتوية على لحم ارنب ونوع خاص من الحوت بطهي اوربي ، فمد الى الشوكة والملعقة ، فاقبلت كما اقبل على الطعام ، وهو يتناول اثناء الاكل ما فى كاس كبير من الاشربة التي يالفها ، وقد عرضها علي فاخترت عليها الماء الصرف ، فصار اثناء الاكل يذم المآكل الاهلية ، ويسخر من الطواجين والسناطيل ، حتى وصل الكسكسو فصب عليه جام غضبه ، فقال ان كل الطعام الاهلي لا اكاد اشمه الا احسست بنفسي اختنق ، ومتى تذكرت اوساخ النساء الاهليات الطاهيات يثور ما فى بطني حتى اوشك ان القي كل ما فى امعائي ، فياللهمجية والاوساخ وبلادة العقول والمكروبات المتراكمة فلا اود الا ان انسف فى لحظة واحدة كل هذه الهمجية بديناميت واحدة حتى يطهر الوجود منها بالكلية .

على هذا الوتر صار صاحبي يضرب بكل ما فى عزمه من قوة وما فى لسانه من فصاحة ، فاوسعت له صدري ، وتركته حتى تاتي ساعة مناظرته ، لانني اوقن انه متى صلح قلبه بالدين الاسلامي تزول بسرعة عنه كل هذه الظواهر التي ملكت عليه مشاعره ، فكل من كفر بدين امة وامتلا قلبه بجعلها المثل الاعلى فى التاخر والهمجية ، فانه لا يمكن أن يرضى عنها بعد الا متى رضي عن دينها وقد ادركت أن الدعاية التي وصلت بامثال هؤلاء الاغمار الى هذه الحالة التي تحملهم على كراهة امتهم وكل ما فيها ، ومحبة غيرها من الامم الاجنبية وكل ما اليها ، ما امكن لها ان تجد معششا فى صدورهم الا بعد ان ازالت عنها دين تلك الامة ازالة تامة ، فامكن لها حينئذ بسهولة ان تبذر بذورها كما تريد ، فنجحت كما نرى غاية النجاح ، وكذلك الدواء يوضع كما وضع ذلك الداء ، فليحاول فى امثال هؤلاء تفهيمهم الاسلام اولا ، ثم اذا فهموه فما اسهل ان يفهموا كل ما وراءه ، فان الغشاوة سرعان ما تزول عن ابصارهم ، فيوقنون ان كل امة امة لا تخلو ـ وان بلغت فى المدنية ما بلغت ، او فى التاخر والانحطاط ما بلغت ـ من الحسن والقبيح ومن اناس يمثلون كل الطبقات فى الرقي وفى الاسفاف ، ولهذا تركت صاحبنا الآن لضيق الوقت عن مفاتحته فى هذا الباب . . .

ماذا راينا فى دار التمثيل ؟ راينا ادوارا كلها خلاعة صريحة ، وتهتك يندى به جبين الفضيلة ، واما تلك الراقصة التي وصفها صاحبنا المسكين بما وصفها به فانها امراة نصف ، الحت على ما تبقى فى اطرافها من روعة جمال باصباغ مختلفة حتى اصبحت كما قال الشاعر :

تعددت الوانها كأنها قوس قزح

فلم تزل فى تلو وانعطاف ، ويداها تلعبان باذيال ثوبها حتى كاد يظهر منها ما اجمعت الاديان واصحاب الفضيلة والاخلاق على وجوب صونه ، ولم يظهر لي انا منها ما يظهر لامثال صاحبي الذين يكادون يخرجون من جلودهم لما صارت تمثل ادوارها على المسرح ، اللهم الا صوتها الرخيم فانني اعذرهم ان تاثروا باناشيده ، فكم مرة سمعت صاحبي بعد ان ملت كفاه من التصفيق، تفلت منه على رغم اسراره صيحة بقوله (الله) فعجبت كم بين الاخوين ، فاخوه الصوفي كان عهدي به امس يقولها فى الزاوية مستقبل القبلة ، وهذا يقولها فى دار الخلاعة وهو مستقبل هذه الرقطاء التي تتلون لامثاله كما تتلون فى اثوابها الغول .

ابطانا هناك حتى تجاوزنا نصف الليل بكثير ، ثم جاء معي صاحبي حتى هيا مضجعي ، فقال انه لا يزال

لي ارب في الخارج ، فغاب ما شاء الله حتى بقي للفجر نحو ساعتين اذا به مع امراة تتسلل به خفية وهو سكران . ولا يزال يلفظ ببعض كلمات من اغنية رددتها الممثلة كثيرا على المسرح ، ولا يكاد يفصح بما يقول ، ورفيقته تضع يدها على فيه ، كانها تعرف انني في الدار فلا تريد ان استيقظ لاراه على تلك الحالة السمجة . ولكنني بت سهران ارقا ، افكر في امثال هؤلاء الشبان الذين حرمتهم امتهم ، وفقدت جهودهم في كل ميدان من ميادين حيوياتها ، وتناومت لما احسست بتلك المراة تعتل السكران برفق ، وتهدئه ليخفض من صوته المتلعثم ببقايا من تلك الاغنية . ثم لما مست زر الكهرباء في الممر ، وقادته امامي ، القيت بصري على المراة فاذا بها غير الراقصة ، وقد راعني تغير وجهها عما كان عليه آنفا ، فادركت ان ما تراءى لي منها من بقية جمال ، انما هو من آثار المسحوقات المذرورة على اطراف محياها ثم بعد ان اضجعته والقت عليه الغطاء بمعاونة الخادم التي جاءت اخيرا غادرت المكان ، فقلت في نفسي : في هذا الوقت نفسه استيقظ اخوه وتوجه لمناجاة ربه سالما معافى ، وها انذا ارى اخاه هذا لم يرجع الى فراشه الا في الوقت نفسه فيا للفرق العظيم بين الاخوين .

كنت هيات لي وضوءا ازائي من امس فاديت فرض ربي ، ثم غلبني النعاس غلبة شديدة، فلم استيقظ حتى متع النهار كثيرا ، فوجدت رب المثوى قد استفاق قبلي ، فحياني من ازاء فراشه وحييته ، ثم اقبل على الشغل الشاغل الذي يشتغل به امثاله في كل صباح ، فمشط وفرته بعد ما غسلها غسلا جيدا ، ثم اقبل عليها بالمسح الكثير ، ثم صب عليها قارورة تامة من عطر ثم وقف امام المرءاة يمر الموسى على ذقنه وعلى خديه، ثم ذر على وجهه ذرورا ابيض، ثم استبدل لباسه، وحين نزع حذاءه اندفعت الى انفي رائحة خبيثة كانما انفتح المستراح تحت انفي ، ولكنه هو لم يبال بذلك ولا استرعى همته ، ولعله من فريق من الذين لا يتعهدون كثيرا اسافلهم بالنظافة وبالغسل ، كما يفعله غالب شبان اليهود المتفرنجين ، فقد حدثني طبيب اوربي في السويرة انه معجب كثيرا من نظافة المسلمين حتى العملة منهم ، ومن وساخة اليهود المتفرنجين ، قال : انني كلما تعرى امامي يهودي اشم من اوساخ اواسطه واسافله ما لا اكاد املك نفسي معه من الغثيان ، واما المسلمون فلا اجد ذلك منهم ، حتى اذا تعرى امامي احد العملة منهم وهو وسخ في مظاهره وفي اطرافه ، اجد مغابن بدنه واواسطه واسافله نقية ، فلما بحثت علمت ان السبب هو الوضوء الذي يتعاطاه المسلم مرات في اليوم ، والغسل الذي ربما لا يتركه احدهم اياما متوالية .

وبعد ان فرغ صاحبي من شغله الشاغل ، جلس امامي جلسة الدكاترة ، فاستدعى بالفطور الا انه تناول جرعات من ادوية مختلفة قبل الافطار .

اتممنا تناول الافطار على نحو العاشرة فقال رب المثوى : انني ساذهب الآن لمباشرة عملي ، فقلت له : ومتى تخلى لي ساعة افاوضك فيها ؟ فقال : بعد الغداء، فقلت : ان شاء الله ، فقال متهكما : ما معنى ان شاء الله فان الامر لي ، فقد شئت ، والسلام ، فلم اجبه الا ببسمة فقط ، ثم خرجنا، فصاحبته حتى وصل معمله ، فذهبت الى المدينة ، فاذا بي القى اخاه سعيدا ، فقلت في نفسي: انها لمصادفة حسنة، فذكرت له انني سارافقه العشية لابيت عنده في تازة ، فرحب وواعدني الملاقاة على الساعة الرابعة في العشية في مكان عيناه .

وصلت في وقت الغداء الى باب دار حماد ، فراعني خروج طبيب منها فحييته وحياني ، فقال لي : انه لا باس عند حماد ، فان الضربة لم تصب مقاتله ، وانما هناك اثر لكمة شديدة غشي عليه بها قليلا ، وها هو ذا افاق الان من غشيته ، وقد الزمته ان لا يزايل فراشه الا بعد الثانية ، فحين رآني مشدوها مما يقول ، ادرك انني لم اكن انتظر هذا الخبر الذي فجاني به : فقال كانك لم تسمع بعد بما وقع لحماد ؟ فقلت له : لا ، الا انني يهمني ان اعلم جلية الخبر كما هي . فقال : منذ ساعة استدعيت بالهاتف على العجلة فوجدت حمادا امام معمله ساقطا على وجهه مغشيا عليه ، ومحافظ الامن واقف على راسه ، فقيل لي : انه سقط بسبب مخاصمة مع بعض الاشقياء الاقوياء من الذين لا يزالون ارصاد الحانات ، وازبار الغواني ، فقد كانا تشاجرا امس من جراء راقصة تنافسا في الاستيلاء عليها اثر انقضاء فصول التمثيل الم سعد بها حماد ، فتركه الشقي الى ان فتح معمله بعد الساعة العاشرة اليوم فنهد اليه ، فحاول حماد ان يتملص من مشاغبته ، ولكن الاخر يلح عليه في المبارزة على العادة الاوربية ، فابى حماد كل الاباء ، لانك لا تجهل ان حمادا ليس من رجال ذلك الميدان ، فلما لم يجد الشقي بابا الى شفاء غليله من صاحبه ، صمد اليه بلكماته ، فحاول حماد ان يجيبه بمثلها الا انه ضعيف النكاية ، فاصابته من الشقي لكمة شديدة لو اصابت احد مقاتله لقضت عليه، الا انه سلم باعجوبة ، فغشي عليه ، هذا ما وقع له ، وهو الآن في نوم يسترجع به قوته ، ولذلك اوصيت على ان لا يوقظه احد .

فاحسست بان الرجل اوتي من قوله آنفا حين نسب المشيئة لنفسه لا لخالقه ، فانقدح لي ان اتخذ الحادثة مفتاحا لما اريد ان افاتحه فيه ، فقلت : وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وكم نقمة في طيها نعمة، واذا اراد الله امرا هيا اسبابه ، ان ربي لطيف لما يشاء.

انحراف في فهم كلمة الدين

للأستاذ : عبد العزيز بن ادريس



اصيبت كلمة الدين برذاذ من هذه الحضارة المادية كاد يفقدها نصاعتها واشراقها ويجعلها اشبه شيء بالتحفة الفنية النادرة التي يرغب الانسان المتحضر في اقتنائها من غير ان يفكر في استعمالها مستغنيا عنها بما ابتكرته المدنية من ادوات .

وقد دعتني هذه الظاهرة الجديدة الى العمل على تقويم هذا الانحراف وتنظيف معنى كلمة الدين من الطفيليات التي علقت بها وكادت تغطي على بهجتها وتذهب برونقها ومعناها الاصلي يرجع الى معنى الجزاء ولذلك سمي يوم القيامة يوم الدين ومنه قوله تعالى في سورة الصافات (الاية 53) انا لمدينون اي مجزيون عن اعمالنا بما يناسبها وتاتي بمعنى الطاعة والخضوع وكان ذلك يرجع الى المعنى الاول لانه طاعة المقصود منها طلب الجزاء الحسن او الفرار من الجزاء السيء وهذا هو معناها في العرف الاسلامي فاذا قيل ان فلانا متدين او محافظ على دينه فمعناه أنه يطبق احكام الدين في حياته لم يتغير هذا المدلول لهذه الكلمة منذ نزل القرآن الى الآن .

ولكن مدلولها في بعض الاوساط التي اخذت من الثقافة الغربية بنصيب وافر ولا سيما اولئك الذين لم تسمح لهم ظروفهم بالتملي من الثقافة الاسلامية له معنى آخر زيادة على ما قلناه فهو يعني التحجر والرجعية ومقاومة حرية الفكر وعداوة كل حركة عقلية متحررة .

ومنشا هذا الفهم امور :

1) التاثر بمعنى كلمة الدين في عصور اوربا فقد كانت تعني عداوة كل تفكير وكان كل من حاول ان يتحرر من القيود العظيمة التي كانت تفرضها الكنيسة خارجا عن نطاق الدين محكوما عليه بالحرمان يتعرض لاشنع التقتيل والتنكيل وكم سجل التاريخ في ذلك من مآس وكوارث ، وما محاكم التفتيش التي كانت الانسانية تئن من قساوتها الا تطبيقا لكلمة الدين في ذلك العصر ونتيجة حتمية لسيطرة رجال الكنيسة المتحجرين ولم يستطع قادة التحرير والمفكرون ان يثبتوا اركان المعرفة ويقيموا صروح العلم الا بعد تضحية عظيمة ذهب اثناءها كثير من رجال الفكر ضحية التحجر والجمود .

من اجل ذلك اخذت كلمة الدين هذا المعنى الوضيع ولم يستطع العلماء والزعماء السياسيون ان ياتوا بشيء جديد الا بعد تنحية الدين من الحياة وبعد القضاء على سيطرة الكهنوت وما هذه الحركات الهدامة التي ظهرت في العصر الحاضر وتمكنت من اخضاع بعض الشعوب الا غلوا في محاربة فكرة التدين وايغالا في القضاء على العقيدة وهي بعد ردّ فعل طبيعي لموقف رجال الدين ازاء حرية الفكر .

فهذا المفهوم لكلمة الدين في اوساط اوربا الثقافية هو الذي يجعل بعض شبابنا ينفرون من هذه الكلمة ويتقززون منها ويحاولون ان لا يكون بينهم وبينها اية صلة .

وما كان هذا المفهوم قط في الوسط الاسلامي فما كان الدين عرقلة في طريق التقدم ولا مانعا من حرية التفكير بل الذي اثبته التاريخ ان ازدهار المعرفة والعلوم

واطراد التقدم ورقي الفنون كان متوازيا مع انتشار الدين والعمل به وقلما حدثنا التاريخ ان شخصا اضطهد لاجل عقيدته او امتحن في تفكيره الا لاسباب سياسية خارجة عن ميدان الدين ، واذن فمدلول هذه الكلمة في العرف الاسلامي لا يدعو الى نفور فما على شبابنا الا ان يعكفوا على الثقافة الاسلامية بنفس الروح التي عكفوا بها على الثقافة الغربية، واذ ذاك يظهر لهم البون الشاسع والفرق العظيم بين مدلول الكلمة في العرف الاسلامي ومدلولها في العرف الكنسي .

2) حالة بعض الطرق التي تنتسب الى التصوف والمظاهر التي تقوم بها ناسبة اياها الى الدين وزاعمة انها تتفق وروح الاسلام مع انها ليست الا مظهرا من مظاهر الوحشية والبدائية مثل ما كان يفعله طوائف عيساوة وحمادشة من ادوار تتقزز لها النفوس البريئة وتدعو الرثاء لاصحابها ولقد استرحنا والحمد لله من تلك المظاهر بفضل العزيمة الصارمة التي ابداها جلالة محمد الخامس في فجر نهضتنا المباركة .

وقضى بها على كل افاك وارجع الى الاسلام كرامته ونفى عنه تلك الطفيليات التي علقت به .

3) الادوار الفظيعة التي قام بها شيوخ الطرق والمشعوذون باسم الدين فانهم تحالفوا مع الاستعمار بصفة مكشوفة واستغلوا كلمة الدين الى ابعد الحدود ونسبوا اليه ظلما وجورا ما ليس منه واوهموا اتباعهم وشيعتهم ان الاسلام يطلب منهم الخضوع للحكم الاجنبي بل التضحية لتثبيت قدمه في البلاد ولاجل ذلك كان في طليعة ما فكر فيه زعماء الحركة الوطنية هو القضاء على شعوذة هؤلاء وكشف خطرهم للعموم وتعريف الناس بان عملهم لا يمت الى الاسلام في شيء بل هو اول ما يحاربه الاسلام لانه عدو الشعوذة والتضليل .

4) حالة علماء الدين الفكرية فانهم باقتصارهم على دراسة الكتب التي الفت في عصور الانحطاط الفكري العالم الاسلامي وابتعادهم من كل جديد ووقف حياتهم على هذا القدر من المعرفة جعلهم في واد والحياة الجديدة في واد واصبحوا يعيشون باجسادهم في هذا العصر وبافكارهم في العصور التي الفت فيها تلك الكتب التي عكفوا على دراستها طيلة حياتهم وبما انهم الممثلون الرسميون للاسلام صار الاسلام عنوانا على الجهل والانكماش والغرور كل هذه الاسباب التي ذكرنا وغيرها هي التي نزعت عن كلمة الدين نضارتها واشراقها وجعلت كثيرا من الشباب المثقف يحيد عنها والعلاج الوحيد لهذا الداء الذي وصفناه هو تقديم الثقافة الاسلامية الى الشباب في حلة جديدة متوفرة على عناصرها الحية النامية ومنزوعا منها كل تلك الطفيليات التي علقت بها ودعوة علمائنا الى الخروج من مخابئهم وتنسم الحياة الجديدة ودخولهم الى معترك الحياة وانغمارهم في المجتمعات الشعبية ثم دعوة الشباب الى الاهتمام بالثقافة الاسلامية واعطائها ما تستحقه من عكوف ودراسة فبهذا وحده ننفي عن كلمة الدين هذا الطابع الوضيع ونعيد اليها اشراقها ونصاعتها .

من امثال الشعوب

من يذهب الى وليمة الذئب ... يجب ان يصحب كلبه معه !

« مثل الماني »

الذي يولد ليزحف ... لا يستطيع ان يطير !

« مثل روسي »

بقدر ما يكون الثوب ناصع البياض ... تكون اللطخة اظهر !

« مثل انجليزي »

اذا كان راسك من شمع ... فلا تمش في الشمس !

« مثل امريكي »

على هامش الرحلة الملكية

للاستاذ : عبد الوهاب بن منصور

كانت الرحلة الملكية الى الولايات المتحدة فتحا معنويا للمغرب . وكسبا ثمينا لا يمارى منصف في قيمته الكبرى . واهميته العظمى . بالنسبة للتطورات التي ينتظر ان تطرا في المستقبل على سياسته الخارجية ، ونمائه الاقتصادي .

لقد عاش المغرب طيلة القرون الاخيرة معتزلا العالم . منطويا على نفسه، حذرا على استقلاله ان يمس، واتقاء لعادية المطامع الاروبية التي عصفت بحرية اوطان كثيرة وجرت الى استعمارها بكل سبيل ، وقد حالت هذه العزلة بينه وبين مسايرة الدول الاوربية في التقدم المادي والادبي الذي عرفته في القرون الثلاثة الاخيرة رغم قربه الشديد منها ، وحرمته من ذيوع الشهرة وانتشار الصيت ، فاصبح نكرة بين الاوطان والشعوب، ثم جاءت الحماية فزادت في عزلته وتضييق الخناق عليه ، فصار العالم لا يعرف عنه الا ما تذيعه ابواقها وتنشره ورقاتها من الصور الشوهاء التي تظهره في مظهر مزر يبعد عن الحقيقة والواقع بعدا كبيرا .

ولكن الزيارة الملكية الاخيرة الى الولايات المتحدة خرجت بالمغرب من عزلته القديمة ، ومحت من الاذهان ما كان عالقا بها من الصور المزيفة عنه . وابرزت شخصيته الدولية ابرازا كشف ما كان يحيط بها من لبس وغموض ، ويرجع الفضل في ذلك الى شخصية محمد الخامس التي لها وزنها الثقيل في الموازين السياسية والديبلوماسية ، ومكانها الرفيع في قلوب الطبقات الشعبية ، باعتباره بطل كفاح وقائد ثورة ، وراعي نهضة وحامل مشعل تحرير ، والشخصيات العظيمة لها من الفعل ما للمغناطيس ، هذا يجذب اليه الحديد ، وتلك تستهوي العقول وتمتلك الالباب ، ولقد راينا راي العين ، وسمعنا سمع الاذن ، وعلمنا علم اليقين ان محمد الخامس من الافذاذ الخالدين خلود التاريخ ، فشهرته طبقت الافاق ، وسيرته الرائعة صارت حديث كل لسان .

كانت الوزارات المختصة اعدت لهذه الرحلة طائفة من الكتب والمنشورات للتعريف بالمغرب ونهضته ، وكفاح شعبه وحكمة قيادته ، وعملت جهدها لتصل في الوقت المناسب وتوزع في الاحوال الملائمة ، ولكن المغرب كان له من شخصية ملكه الكريم ما يغنيه عن كل دعاية ويكفيه مشقة اي تعريف، فهو معتبر من شخصيات العالم الكبرى ، واعماله المجيدة وآراؤه الصائبة جعلتاه قبلة الانظار ومتجه الافكار ،ففي كل محفل وقف فيه جلالته خطيبا ، انصت الناس اليه خاشعين متاملين كأن على رؤوسهم الطير ، وعلقوا معجبين مقدرين ، لما سمعوا من سمو الفكرة ولمسوا من طيبوبة الروح ، لقد كان خير رسول لقومه الى اهل الولايات المتحدة ، واكبر داع لوطنه في تلك البلاد العظيمة ، كان المغرب والمغاربة ملء فكره وقلبه ولسانه ، يتحدث بامجادهم ، ويتغنى بمآثرهم ، ويعرف بحقيقة حالهم وآمالهم في حاضرهم ومستقبلهم ، ويعرب عن وجهة نظرهم في دنياهم ودنيا الناس ، ولقد رايت القوم في كل مرة وقف فيها جلالته خطيبا او متحدثا يبدؤون الاستماع في اهتمام عادي ، حتى اذا خطا جلالته في الخطبة او الحديث خطوات ، اشرأبت اليه اعناقهم ، وقلت حركاتهم ، وساروا معه ماخوذين في انتباه كبير ، ولا تلبث ان تراهم بعد ذلك يصفقون في جنون ويعلقون باستحسان ، ويزحم بعضهم بعضا بالمناكب للاقتراب منه وتحيته وهو يهم بالرجوع الى النزل الذي يقيم فيه .

ولم يكن محمد الخامس الرئيس السياسي ، والزعيم القومي ، هو كل ما يجذب اليه قلوب الامريكيين ويحببه فيها ، لقد كان محمد الخامس الانسان يفعل فيها فعل السحر ايضا ، فبساطته في معيشته، وابتعاده عن التكلف والفخفخة في احاديثه وتصرفاته ، وامتلاء قلبه الكبير بالعواطف النبيلة ، والاحساسات الشريفة

جعلت منه الرجل المثالي الذي يتحدث عنه الفلاسفة والاخلاقيون ، فحمل جلالته لطفل ، ومداعبته لطفلة ، ورفقه بعجوز ، وتلطفه مع خادم ، ومنحه توقيعا لطالب كانت تعدل لدى الراي العام الامريكي مسامرة في ناد سياسي ، وخطابا في مجمع اممي ، ولقد كنا نشفق عليه من كثرة الوقوف للمصورين وهو يسعف هذا العدد العديد من الرجال والنساء الذين يجيئونه باطفالهم وطفلاتهم طالبين منه حملهم في ذراعه للتصوير ، ولكنه لم يضق ذرعا بشيء من ذلك ، بل كان يجيب كل راغب الى مرغوبه ولا يرد احدا خائبا ، وكان في ذلك من الدعاية للمغرب وديمقراطية اسرته المالكة ما فيه من الخير الذي يقدره كل عالم بقيمة التعريف وفائدته للامم ولا سيما الناشئة منها ، فالمغرب قد استفاد كثرا من جولة ملكه بين المحيطين الاطلسي والهادىء ، اذ اصبح ذكره يجري على السنة عشرات الملايين من البشر وصار لديهم حقيقة ملموسة بعد ان كان عندهم خيالا ، حتى قال احد كبار موظفي الامم المتحدة : ان هذه الجولة التي استغرقت ثمانية عشر يوما كانت خيرا للمغرب من دعاية عشرة اعوام .

ولم تكن الرحلة الملكية رحلة بروتوكولية كتلك التي يقوم بها عادة رؤساء الدول الى البلدان التي يستدعون لزيارتها ، فيقتصرون على حضور المآدب ، والوقوف على المشاهد والمعاهد ، وتبادل الهدايا والاوسمة والرسائل الودية ، لقد كان جلالة الملك يعلن للناس في كل مكان عن طموح المغرب الى حياة كريمة ، ويفصح عن رغبته في الاصلاح والبناء ، فالحرية التي كافح لنيلها والشعب المغربي من ورائه ــ لم تكن في حد ذاتها غاية ، ولكنها وسيلة لخلق مغرب جديد ينفض عنه غبار القرون البالية ويدخل الى معمعة الحياة الحضرية ينشىء فيها ويشيد ، ويستغل خيراته الطبيعية وثرواته الباطنية لفائدة سكانه ليضمن لهم العيشة الرغيدة والحياة الآمنة التي تكتنفها الحرية وتشملها السماحة ، وقد قدر الشعب الامريكي وحكومته هذه المطامح واستحسنوها ، وتقدم المسؤولون في واشنطون بعروضهم لمساعدة المغرب على التطور والتجهيز والازدهار ، من غير ان يطلب منهم المغاربة شيئا تصريحا او تلويحا ، وهذا يبين اهمية هذه الجولة في تمهيد سبل تعاون حر بين الدولتين خال من القيود والشروط ، فقد جرت العادة ان تتقدم الدول المتخلفة بطلبات المساعدة الى الدول المتقدمة ، وتظل هذه الطلبات بين ايدي الاختصاصيين اوقاتا مديدة للدرس والتمحيص ، حتى اذا حظيت بالقبول وضعت الدول الطالبة امام شروط وقيود قد تحد من حريتها في التصرف ، وتجعل ارضها قاعدة لجنود واساطيل الدولة المعينة ، وهذا ما لم يحدث منه شيء هذه المرة ، فقد كانت الولايات المتحدة هي الطالبة لا المغرب ، وكان عرضها خاليا من اي شيء يمس سيادته وحريته من قريب او بعيد ، وفي هذا دليل على ما تناله من عطف مطامح المغرب الجديد الذي لن يستغفله احد .

وبالاضافة الى ذلك كانت هذه الرحلة ضرورية لتصفية التركة التي خلفتها الحماية بعد موتها ، وازالة التباس بقي ينسج غشاوة على سيادتنا الوطنية ، فمن المعلوم ان فرنسا اذنت للولايات المتحدة بتاسيس قواعد جوية في المغرب من غير علم ملكه ولا موافقته ، ووضعت لها انظمة تستفيد منها قواتها عسكريا وجاليتها ماديا ، ولما اعلن الاستقلال وجد المغرب نفسه امام امر واقع لم يكن له بد من دفعه ، فليس من المعقول ان يعترف به وهو الحريص على التخلص من آثار الاستعمار وفي مقدمتها وجود جيوش اجنبية فوق ترابه بغير علمه ولا رضاه ، وقد امكنه خلال هذه الرحلة ، لما له من حق ، ولجلالة ملكه من تاثير ان يصل الى اتفاق مؤقت مع الولايات المتحدة في شان هذه القواعد ، وسيتفاوض معها قريبا عليها من غير مشاركة طرف ثالث لانها اعترفت بانه صاحب الشان الذي يعنيه الامر وحده ولا شان لغيره وبذلك زال الالتباس وارتفع الغموض ، واصبحت سيادة المغرب الوطنية وحريته في التفاوض المباشر واضحتي المعالم ، وحقيقتين مقررتين مسلما بهما من طرف الدول .

وكما كان لشخصية جلالته اثرها الكبير في حل هذه المشكلة العويصة كان لها ايضا اثر كبير في جعل ساسة الولايات المتحدة ومندوبي الدول في منظمة الامم المتحدة يصغون باهتمام الى وجهة نظر المغرب في كثير من القضايا التي تشغل بال العالم ، ولا سيما قضية

الجزائر صاحبة المغرب بالجنب ، وشريكته في المعتقد واللغة والعاد ومقادير التاريخ ، وقد زكت شهرة جلالته بالحكمة والرفق والرغبة في حل المشكلات عن طريق المفاوضات الحرة – اقول زكت هذه الشهرة جميع اقواله وآرائه ورجحت كفتها عند ما نصبت موازين الاقوال والآراء ، وهذا ما يعلل الموقف الاخير لحكومة واشنطون والامم المتحدة الذي في صالح الجزائر وليس في صالح الاستعمار كما يفهم من التصريح المشترك وقرار الجمعية العامة .

وكانت الرحلة من جهة اخرى نافعة جدا ، فالمغرب اليوم على عتبة نهضة جديدة ، وجلالة محمد الخامس هو واضع اسسها ومغذيها وراعيها ومن الخير لها ان يزور بلدا ضرب بسهم مصيب في ميدان الرقي والتقدم ومن الخير لها كذلك ان يكون مصحوبا بافراد اسرته الكريمة الذين لهم من الامة مكان الصدارة بحكم مركزهم السياسي وما يباشرون من مهام اجتماعية كبيرة ، لقد وقفوا على عدد من المنشآت ، ما بين ثقافية واقتصادية وعسكرية واجتماعية ، ودرسوا كثيرا من الانظمة والقوانين ووسائل العمل ، واعتبروا بالتجارب التي اجتاز بها الناهضون قبلنا ، ومن المؤكد ان ذلك سينير امامنا السبل المستقيمة في المستقبل ويجعلنا نسير فيها على بصيرة من الامر لا متخاذلين ولا متعثرين .

وعلى الجملة ، لقد كانت الرحلة من بدايتها الى نهايتها نجاحا للمغرب منة في المنة، وفوائدها لا يستوعبها مقال او يغني فيها حديث ، وسيميط التاريخ النقاب قريبا او بعيدا عما اسدى بها جلالة محمد الخامس لامته من العوارف واولى من النعم ، وما سيكون لها من آثار محسوسة في نهضة المغرب المترقبة ، ولا يسع من رافق جلالته في هذه الرحلة ، ولازمه بالغدو والاصال ، واطلع على سني خصاله ، وجميل افعاله ، وامتلاء قلبه الكبير بالنبل والفضل الا ان يجدد الشكر لله عز وجل على ان وهب هذه الامة ملكا رشيدا ، ووالدا حكيما ، يجد الراحة في التعب من اجلها ، والمتعة في مواصلة السعي لترقيتها واعلاء شانها ، والا ان يتمثل فيه بقول ابي تمام وهو به اجدر :

خليفة الله جازى الله سعيك عن
جرثومة الدين والاسلام والحسب

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تنال الا على جسر من التعب

ان كان بين صروف الدهر من رحم
موصولة او ذمام غير منقضب

فبين ايامك اللتي نصرت بها
وبين ايام بدر اقرب النسب

امد الله في حياته ، وامتعه بنجاح مساعيه ، وتحقيق امانيه .

عـز الادب

قال حكيم يوصي ابنه : (يابني ... عز المال للزوال وعز السلطان يومان يوم لك ويوم عليك ، وعز الاحساب مآله الذهاب ، واما عز الادب فلا يزول بزوال المال ، ولا يتحول بتحول السلطان وهو دائمافوق الاحساب والانساب) .

الدورة الثالثة لمؤتمر أدباء العرب

للأستاذ عبد القادر الصحراوي ..

انعقدت الدورة الثالثة لمؤتمر الادباء العرب في القاهرة من اليوم التاسع من شهر دجنبر الفارط الى اليوم الخامس عشر منه .

وقد شارك المغرب في هذه الدورة لاول مرة، فبعث وفدا تحت رئاسة الاستاذ السيد عبد الله كنون، وكان بقية اعضاء الوفد هم السادة :

محمد بن تاويت
الحسن السايح
عبد القادر الصحراوي

وقد قوبل الوفد المغربي عند وصوله بغاية الحفاوة والترحيب، خصوصا وان رئيسه السيد عبد الله كنون، كانت تربطه من قبل بكثير من رؤساءواعضاء الوفود العربية الاخرى اواصر مودة ومعرفة سابقة .

* * *

كان كل وفد يقابلنا بلحف في السؤال عن الحالة في المغرب ، وعن تفاصيل قضية ايفني بالذات ، وعن الغاية من رحلة صاحب الجلالة الى امريكا ، وعن شؤون الثقافة والفكر في المغرب ، ومدى ما قطعناه من اشواط في تعريب الادارة والتعليم ، وعن الصحف المغربية اليومية والمجلات الادبية الدورية ، وحركة التاليف ، وما اذا كان في المغرب جامعات او معاهد عليا ، وعن لغة التعليم بها ، الى غير ذلك من الاسئلة التفصيلية الدقيقة التي تدل دلالة صادقة ، على اهتمام سائر اخواننا بالمشرق العربي باحوالنا والرغبة في معرفة تفاصيلها وجزئياتها .

وكان كل وفد يعلن لنا عن رغبته في أن تنعقد الدورة المقبلة للمؤتمر في المغرب ، حتى يتاح للادباء والمثقفين العرب ، ان (**يكتشفوا**) هذا الجزء من الوطن العربي الكبير ، وان يتعرفوا عن قرب على مشاكله ومتاعبه ومدى تقدمه وتطوره .

وكنا قد اخذنا نفكر بالفعل في الاتصال بالحكومة المغربية لنستاذنها في دعوة المؤتمر باسمها ، ولكننا فوجئنا في الجلسة الثانية للمؤتمر ببرقية وردت من امارة الكويت تدعو المؤتمر ليعقد دورته الرابعة بها ، وقد اعلن المكتب الدائم للمؤتمر في الجلسة الختامية عن ترحيبه بهذه الدعوة ، وقبوله لها ، وشكره للحكومة الكويتية عليها .

* * *

وقد ابتدأ المؤتمر اعماله بجلسة افتتاحية، تراسهاالسيد كمال الدين حسين وزير المعارف المصرية ، فرحب بالوفود (**باسم الشعب المصري كجزء من الامة العربية**) وشكرهم على تلبية دعوة مصر ، وتوجه في كلمته بنداء الى كافة الادباء بالبلاد العربية يدعوهم فيه الى **الملاءمة بين الادب وبين الاهداف القومية** .

وتعاقب بعد ذلك على المنصة رؤساء الوفود لالقاء كلماتهم باسماء وفودهم ، وكانت الكلمات في الجلسة الافتتاحية عبارة عن تبادل عبارات المودة والتجاوب الروحي بين ابناء البلاد العربية جميعا والتقائهم كلهم عند هذه الروابط العديدة التي تجمع بينهم اينما كانوا ، هذه الروابط التي تنضوي كلها تحت هذه العبارة الموجزة ، او تحت هذا الشعار الجميل (القومية العربية)

وقد القي في هذه الجلسة الافتتاحية الدكتور طه حسين كلمة باسم الادباء المصريين ، حاول ان يوفق فيها بين رأيه المعروف في ان الانتاج الادبي حر ، و يجب ان يظل حرا من كل قيد غير فني كيفما كان هذا القيد ، وبين دعوة الادباء العرب الى ان يكون ادبهم صدى لما يعتمل في نفوس الجماهير العربية من رغبة في الوحدة ، ومن حرص على العمل للتخلص من كل نفوذ اجنبي ،

وقد خلص الدكتور من كل ذلك الى ان ادب الابراج العاجية او ادب الفن للفن لم يوجد اطلاقا ، ولا سبيل الى وجوده اطلاقا ، وان انتاج الاديب ، سواء اراد ذلك او لم يرده ، متأثر دائما بالبيئة المحيطة به ، وان انتاج الاديب العربي اليوم لا يستطيع الا ان يكون صورة للبيئة العربية المعاصرة ، معبرا عن آمالها وعواطفها وخوالجها، وما دامت قضية الساعة بالنسبة للشعب العربي ، انما هي قضية الوحدة وتحقيق فكرة القومية العربية ، فان الاديب العربي المعاصر لا يستطيع الا ان يكون رائدا لهذه القضية او صدى لها على الاقل .

ان قضية الوحدة والقومية العربية بالنسبة للاديب العربي المعاصر ، كالدهر بالنسبة لجبريل في بيت المعري :

ولو طار جبريل بقية عمره
من الدهر ، ما اسطاع الخروج من الدهر

* * *

وتبع الجلسة الافتتاحية اربع جلسات اخرى خصصت لالقاء المحاضرات في المواضيع التالية :

النثر والقومية العربية
الشعر والقومية العربية
النقد والقومية العربية
حماية الاديب والقومية العربية

وكان يتبع القاء المحاضرات في كل جلسة فتح الباب للمناقشة ، على الا يتعدى كل عضو في مناقشة الفكرة التي يتصدى لمناقشتها ثلاث دقائق .

وكانت الملاحظة العامة على المحاضرات والمناقشات معا ، انها كانت تسبح في محيط واسع جدا ، ومع ما يبدو من انه قد كان من الممكن تلافي ذلك ، فان طبيعة المؤتمر نفسه ، وطبيعة الموضوع الذي خصصت له هذه الدورة وهو **(الادب والقومية العربية)** ربما كانا يقتضيان ما لوحظ من اتساع المدى التي كانت تجول فيه المحاضرات والمناقشات .

فالقضايا الادبية هي دائما قضايا غير مسلمة تسليما نهائيا كالقضايا العلمية او غيرها ، والقومية العربية شعار يهتف به كل المواطنين العرب ، ولكن حدود دلالة هذا الشعار قد تختلف بين شخص وآخر ، وقد لاحظنا في المؤتمر ان بعض المحاضرين والمناقشين ، كانوا يطالبون بتحديد مفهوم القومية العربية ، في حين كان بعضهم الاخر يثور في وجه المطالبين بهذا التحديد ، اما بدعوى ان مفهوم القومية العربية واضح لا يحتاج الى تحديد ، واننا لم نجتمع هنا الا على اساس اننا متفقون عليه مقدما ، واننا نريد فقط ان نلائم بين مفهوم القومية العربية واهدافها وبين الادب ، واما بدعوى ان القومية العربية شعور يغمر قلوب الملايين من ابناء الوطن العربي، وان الشعور قد يكتفي منه بانه موجود ، وانه يدفع الى العمل ، من غير محاولة لتحديده او توضيح معالمه .

* * *

ومهما يكن فقد اثيرت في المحاضرات التي القيت في المؤتمر وفي المناقشات التي كانت تتبع المحاضرات كل القضايا الادبية ، كقضية الفن للفن او الفن للحياة ، وقضية الفصحى والعاميات ، والالتزام وعدم الالتزام ، والتجديد في قالب الشعر او المحافظة على عموده ، والسمو بالقصة للتعبير عن البطولة والمثل العليا او ترك الحرية للاديب في ان يكتب قصته كما يشاء ، ودور الناقد ، ومدى وجوب توفره في نقده على المعرفة والامانة والنزاهة والاخلاص .

كما اثيرت كثير من القضايا الوطنية والسياسية، كقضية الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي في المغرب والجزائر وتونس ، وقضية الحياد الايجابي في مصر ، وقضايا العراق وشرق الاردن ، والاستعمار الانجليزي في جنوب اليمن ، والموقف الذي ينبغي ان تتخذه الاقطار العربية من الكتلتين الشرقية والغربية معا ، الى غير ذلك من القضايا والمشاكل المتعددة .

ومن الصعب جدا ، بل من المستحيل ، ان نقوم في هذا المجال باستعراض لكل المحاضرات التي القيت في المؤتمر ، فقد جمعت هذه المحاضرات في مجلد كبير قد يزيد عدد صفحاته عن المائتين .

* * *

وقد اخترت للقارىء كنموذج من المحاضرات التي القيت في المؤتمر محاضرتين يجدهما في غير هذا المكان ، احداهما للاستاذ محمود تيمور من وفد مصر ، والثانية للاستاذ رئيف خوري عن وفد لبنان ، على انني ابادر فانبه القارىء الى ان الافكار الواردة في المحاضرتين لم تكن كلها مسلمة تمام التسليم ، فقد تعرضت كما تعرض غيرها من الافكار الواردة في المحاضرات الاخرى لمناقشات جزئية تفصيلية .

* * *

اما التوصيات والقرارات ، فقد كنا ننتظر ان تصدر كما هي العادة فى فقرات قليلة محدودة ومركزة، لكنها صدرت فى الواقع فى احدى عشرة صفحة ما بين توصيات وقرارات عامة وخاصة وبرقيات او نداءات تقرر التوجه بها الى هيئة الامم المتحدة او الهيئات الادبية العالمية ، وقد تعرضت القرارات والتوصيات بدورها للمناقشة ، ولكن اكثر المناقشات او كلها كانت تهدف فقط الى اضافة بعض التوصيات او تغيير بعض العبارات ، وقد اعلنت معظم الوفود عن موافقتها التامة عليها من غير مناقشة او تعديل ، وسيجد القارىء فى غير هذا المكان ايضا اهم توصيات المؤتمر فى موضوع الشعر والنثر والنقد وحماية الاديب .

* * *

بقي ان نقول كلمة عن وفد المغرب لهذا المؤتمر ، وقد اسلفنا انه قوبل عند وصوله بكثير من الحفاوة والترحيب ، ونزيد هنا انه قام بدوره الايجابي فى المؤتمر ، فقد القى رئيسه باسمه كلمة فى جلسة الافتتاح كما القى محاضرة فى موضوع النقد والقومية العربية ، وشارك الوفد فى ادارة احدى جلسات المؤتمر ، وشارك فى المناقشات العامة ، وادلى ببعض الاقتراحات التي كان لها حظها من العناية والاعتبار عند وضع القرارات والتوصيات ، كما ان رئيس الوفد الاستاذ السيد عبد الله كنون شارك فى لجان المؤتمر التي كلفت بوضع او صياغة قرارات المؤتمر وتوصياته .

* * *

هناك كلمة اخرى لابد من تسجيلها ؛ لقد جندت مصر لهذا المؤتمر كل اعلام الادب المعروفين فيها ، فقد حضر جلسات المؤتمر فى الوفد المصري الدكتور طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، والدكتورة سهير القلماوي ، والدكتورة بنت الشاطىء ، والشاعر احمد رامي، ومحمود تيمور، والدكتور مهدي علام ، والاستاذ سعيد العريان ، ومحمود امين العالم ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، ونجيب محفوظ ، وعدد كبير من اساتذة الجامعات ومن المؤلفين والكتاب والشعراء .

كما ان الوفد السوري كان يشتمل على نحو الخمسة والعشرين عضوا ، بعضهم حضر بدعوة من الحكومة المصرية ، وبعضهم اوفدتهم الحكومة السورية على نفقتها تدعيما للمؤتمر من جهة ، وتقديرا منها لاهميته من جهة اخرى .

ونحن اذ نذكر ذلك فانما نهدف من ورائه الى شيء واحد فقط ، هو ان ندعو حكومتنا لزيادة الاهتمام بمثل هذه المؤتمرات ، فنحن نعلم ان تشكيل الوفد المغربي لم يتم الا قبل الموعد المحدد لسفره بيوم واحد فقط ، وبعد ان كانت تذاكر السفر قد حجزت بالفعل، وقد كان علينا فى هذا اليوم الواحد الذي سبق موعد السفر ان ندبر كل شؤوننا ، وان نعد انفسنا للسفر ، وافكارنا للمؤتمر .

لقد نجح الوفد المغربي فى مهمته نجاحا عظيما اذا قيس بالظروف التي سافر فيها والوقت الضيق الذي كان عليه ان يتصرف فيه، لكنا نرجو للوفدالذي سيمثل المغرب فيالدورة المقبلة لهذا المؤتمر انيجد منالمسؤولين عناية اكثر ، وعونا اكبر ، وان يجد لديهم من الوقت ومن حسن الاستقبال والتوجيه والعناية ما يساعدهم على اداء مهمتهم على نحو احسن ، ان شاء الله .

وشم للجدري

جرت العادة عند بعض اهالي شمال الصين على وشم اطفالهم بعلامات مرض الجدري لمنع الحسد والارواح الشريرة .... وحتى يوهموا الناس بان اطفالهم مصابون بهذا المرض فعلا .



نحن المخضرمين الذين عشنا فى جيلين ، سابق ولاحق ، لا يفوتنا ان فكرة القومية العربية وهي دعوة الساعة ، كان لها بالامس صوت جهير .

بيد ان هذه القومية العربية لم تكن لها دلالة مختمرة فى اذهان الكتاب ، ولم تكن مستبينة المعالم فيما تجرى به الاقلام .

كنا مضطربين فى امرها اشد الاضطراب ، مختلفين فيها كل اختلاف ، يتعصب لها منا فريق ، ويثور عليها فريق آخرون ، وكان المتعصبون لها والثائرون عليها سواء فى التطرف او فى الشطط والاعتساف ، وفقا لمقتضيات وملابسات حاقت بالامة العربية فى تلك الايام .

المتعصبون للقومية العربية كانوا يتمثلونها ليأذاذا بالماضي ، واعتزازا بالسلف ، فهم ينشدون للكتاب أن يرجعوا الى العصور الاولى ، ويؤثرون للادباء أن يحيوا فى اجواء العهود الخوالي، ويأبون على المفكرين أن يسلس قيادهم لاتجاهات حديثة اسفرت عنها الحضارة العصرية فى ميدانها الثقافى .

والثائرون على القومية العربية كانوا يشبونها حملة على كل قديم فى التفكير والتعبير ، ويعتدونه عقبة فى طريق التطور والتقدم ، ولم يسلم من حملتهم تراث العروبة فى فنون ادبها وفى الوان ثقافتها بل فى كثير من دعواتها الروحية الموصولة بالعقيدة والدين .

وتنابز الفريقان بالالقاب ، فريق المحافظين ، وفريق المجددين ، لكل منهما زاوية ينظر اليها لايعدوها، ولكل منهما وجهة هو موليها ، فان قلنا انهما كانا كلاهما على خطأ فلسنا على خطأ ، وان قلنا انهما كانا كلاهما على صواب فلسنا نجانب الصواب .

اولئك المحافظون آمنوا بالقومية العربية ، فاقاموا من انفسهم سدنة لها ، متعلقين بأستارها يتمثل ايمانهم فى الاستمساك بالتراث العربي القديم ، وفى الاستحياء لاساليبه ومناهج ادبه ، وتأنس نفوسهم بأحلام ماضيه ، وبما يزدان به من مفاخر وامجاد . وعذرهم فى ذلك ان المجتمع العربي كانت تغزوه قوى اجنبية فى شتى مناحي حياته ، ومن ورائها مظاهر حضارة عصرية ولوامع فكر جديد . فاشفق المحافظون على الامة العربية ان يطوح بها التيار الجارف ، حتى لا تتماسك ولا يبقى لها من كيان ، ولم يستطيعوا الا ان يهربوا من واقعهم الذي يحاصرهم من كل صوب ، هذا الواقع الملتبس الذي يباعد بينهم وبين عروبة يعتزون بها اكبر اعتزاز .

وهؤلاء المجددون ارادوا للامم العربية حياة غير حياتها المتخلفة ، فانبعثوا يمزقون عنها الفاف ماضيها الذي هو اشبه باحلام النيام ، ويحطمون ما يغل عقولها من قيود مانعة من التحرر والانطلاق ، ويفتحون العيون على النور الجديد فى آفاق الفكر والمعرفة .

ومن ثم نشأت الدعوات الادبية فى كل امة عربية الى ابراز الشخصية، وتنوير الوعي، وتجديد الروح ولم يكن للمجددين بد من اصطناع خطة الهدم ، لكي يقوم على الانقاض بناء مكين .

لبثت القومية العربية على هذا النحو ، بين اشياع المحافظة واشياع التجديد ، مثار تردد ونزاع ، بل مدار تشكك وارتياب . وفى ادب الجيل الماضي تعبير صادق عن هذا التردد والنزاع او التشكك والارتياب ، سواء فى ذلك المحافظون والكتاب المجددون .

ولعل هذه المرحلة كانت مرحلة طبيعية من مراحل النهوض القومي ، وطورا لاغناء عنه من اطوار تبلور الفكر العربي . فقد جاهد المحافظون فى سبيل احياء

تراث العروبة وتزكيته واقرار الايمان به في النفوس ، وعمل المجددون على انضاج الوعي العربي وتبصيره والنفوذ به الى فهم موقفه من الحياة التي يحياها ، ومن المجتمع الانساني الذي يعيش فيه .

وفي يومنا الحاضر اتيح للقومية العربية ان تستقبل طورا حاسما من اطوار حياتها ، وتجد لها صيغة جديدة لا مجال فيها لتعصب فريق وثورة فريق آخرين .

لم تعد القومية العربية حلم نائم على رمال الصحراء ولا اهتزازا لبكاء الدمن والاطلال ، ولا عويلا على مجد كان في غابر الزمان .

القومية العربية اليوم يقظة لعمل ، وسعي الى هدف ، هي تفاؤل بغد ، وايمان بمستقبل وانبعاث الى امام ، هي نزعة موحدة الى الحرية والعزة وتقويم الشخصية في هذا المعترك العالمي الذي يحف بنا من كل جانب .

ولعل ادق تعريف لهذه القومية العربيةفي مضمونها الاصيل انها ــ كما قال استاذ الجيل احمد لطفي السيد ــ « رابطة بين امم اتسعت بينها دائرة المشابهات ، وضاقت دائرة الفروق » .

فهذه الرابطة تجمعنا اليوم حول دعوة فكرية عميقة ، وخطوة تحررية واسعة ، وكفاح انساني صميم

نريد اليوم ان يكون لنا فكر نابع من عقولنا ومن وجداننا ، وان تكون لنا بصيرة خاصة بالحياة من حولنا ، فنتحرر في التفكير والتعبير ، ولا يكون علينا من سلطانفي التأثر والتأثير، نؤمن بانفسنا، فتفيضعليها عزما وقوة ، ونمارس استجابتنا الواعية لكل ما في الآفاق من هواء ونور .

حسبنا من فكرة القومية العربية انها حرب على الضعف والاستكانة ، حرب على التشكيك في الشخصية الجديرة بالاستقلال والتوثب ، وانها ثورة على العبودية والتطامن لسلطان الاجنبي ، ثورة على الوقوف في هذا المعترك العالمي موقف التضاؤل والتخاذل ، وانها رمز في المجتمع العربي للألم الباعث على اليقظة والامل الدافع الى الكفاح .

لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة ، ان القومية العربية لهي نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي ، ورسالة النبوة هي تجميع القوة ، وتكتيل الجبهة ، والانطلاق بالطاقة البشرية في كيان المجتمع العربي نحو كسب الحياة .

وان كتاب العرب في اعناقهم امانة ، هي ان يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة ، يزكونها باقلامهم ، وينفخون فيها من ارواحهم ، ويعملون على ان تكتمل لها اسباب النماء والازدهار .

يشهد التاريخ بان التطورات الكبيرة في الحياة الادبية رهينة بالتطورات السياسية البعيدة المدى ، فالادب يؤثر في هذه التطورات ويتاثر بها في آن . والمجتمعالعربي تحتراية القومية العربية يتشرفلبعث سياسي يستكمل به حرياته ومشخصاته ، فلا معدى للادب عن ان يستجيب لهذا البعث كل استجابة ، وان يواكبه فيما يهدف اليه من اغراض جسام .

تلك هي الاقلام تصابحنا وتماسينا بانتاج ادبي ترتسم فيه وثبة التحرر ، فقد امسكت هذه الاقلام عن التعلق باذيال الموضوعات التجريدية ، والوجدانيات الحالمة ، واقبلت على تصوير الروح الجديدة التي تتمثل فيها اليقظة والعمل والكفاح . وانما انصرف حملة الاقلام الى هذا الحد في التصوير الواقعي لانهم وجدوا انفسهم امام واقع اجتماعي قوي يرج النفوس ويملأ الاذهان ، لا كما كان اسلافهم بالامس يعيشون في واقع هزيل لا يحدوهم الى التعبير والتصوير .

ومهما يكن من جدال النقاد في ان يكون الادب هادفا او غير هادف ، ملتزما او غير ملتزم ، مجندا او غير مجند ، فما احسب الكاتب العربي في هذه الفترة من زمنه يستطيع ان يغفل الاحداث التي تتخذ لها اليوم شعار القومية العربية ، فان هذه الاحداث تهز كيان كل عربي ، وتتغلغل في صميم كل بيئة عربية ، وان الكاتب ليستهين بامانة القلم في يده اذا هو لم يتسمع لمختلف الهتافات التي تضطرم في ذلك المجتمع العربي ، واذا هو لم يلتقطها ويبث فيها من ذوب نفسه ومن فيض روحه ما يجعلها مددا للفكر الجديد ، وكيف يكون الكاتب مخلصا في استيحاء الحياة من حوله ان صمت اذنه دون انبعاث قومي في مجتمع كبير يعيش بين ظهرانيه .

ما اهون ان يكون الاديب معدودا من اهل عصره ، بتاريخ ميلاده ، لانما يحمل ادبه من معالم تضعه حيث وضعته الايام من احداث وطنه في ذلك التاريخ .

لسنا نبغي ان يفرض الكاتب على نفسه شيئا ، ولسنا نتمنى ان يتخذ الكاتب من قلمه بوقا يعلو به صوت مسوق اليه ، محمول عليه . فذلك هو التكلف الذي لا جدوى فيه، وذلكهوالافتعال الذي نأباه. وانماالذينبغيه ان يرهف الكاتبحسه، ويفسح من نفسه مجالا تتجاوب فيه اصداء الحركة القومية ، فانه خليق ان ينتفض وان

يستشعر، وان يتوافر له الانفعال القوي فلا تلبث نفثات فكره وروحه ان تذكي الجمرات التي تومض تحت الرماد .

وبما آثر الاديب الا يربط بين فنه وبين تيارات تتناوح من حوله ، اذ يؤمن بأن العمل الادبي اذا ارتبط بهذه التيارات نقص حظه من الفن، وقصر عمره في حساب الزمن،، وفاته الخلود الذي يتاح للاعمال الفنية الخالصة غير المقترنة بملابسات عابرة في حياة الامم وكفاح الشعوب .

ولكن الحق ان الاديب اذا عمق حسه ، وصدق استلهامه ، وآمن بما يجري به قلمه لم يستعص عليه ان يكون فنه قويا خالدا وان تناول احداث العصور ، وعبر عن ملابسات الجيل ، وانصاع للتيارات العارمة التي تمر بالمجتمع .

ومن الحق ايضا ان المجد الادبي اذ عقد بناصية الاديب الخالص في فنه للحياة الانسانية المجردة ، فانه يعقد كذلك بناصية اديب يجند ادبه لهدف قومي ، ليكسبه به جهارة وقوة وحيوية ، فقد لمع في الآداب العالمية ادب الكفاح الشعبي ، وبقي على الزمن ما فيه من روائع وعيون ، وكتب الخلود لاصحابه بين الادباء ، كما كتب الخلود لهم بين قادة النهضات .

واني لاذكر هنا اديبا عاش في عصر الثورة العرابية وجند ادبه في معسكر الوطنية المصرية لذلك العصر ، هو السيد عبد الله نديم ، فقد اجاد قلمه لونا من ادب الكفاح ادى مهمته في حينه احسن اداء ، ولربما عز علينا ان نتلمس فيما انتهى الينا من آثار « النديم » في ادبه الكفاحي ما يصعد به الى قمة الفن ، ولكنه استحق التمجيد والخلود .

واذا طاب لنا ان نهتف بحرية الاديب العربي فيما يجري به قلمه ، وفيما تضطرم به نفسه وان ننشد طلاقة الطائر في الافق ، فعلينا ان نهتف كذلك بالرسالة الانسانية الملقاة على عاتق الاديب الحر، رسالة الاحساس بالحياة التي يحياها ، والتعمق فيها ، وتزكية ما يلتمع في مجتمعه من مثل رفيعة تدعو الى حرية وحق وخير وسلام ، والقومية العربية التي تعمر جوانح المجتمع العربي اليوم ، ليست الا مثلا انسانيا رفيعا ، فهي موجة من موجات التقدم البشري ، تدعو الى الايمان بالنفس والى حرية العمل للخير والحق والسلام .

رفقا بالقوارير

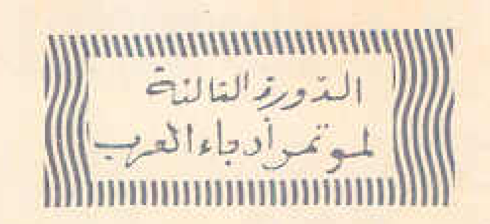
قال الاصمعي : سمعت اعرابيا يقول . اللهم اغفر لامي ، فقلت : مالك لا تذكر اباك ؟ فقال : ابي رجل يحتال لنفسه ، وان امي امراة ضعيفة .

الطول والعرض

سئل بعض الجند عن نسبه فقال : انا ابن اخت فلان ، فسمعه اعرابي فقال : الناس ينتسبون طولا وهذا الفتى ينتسب عرضا .

انـا ...

سال عمر بن الخطاب رجلا : من سيد قومك ؟ فاجاب الرجل : انا . فقال عمر : كذبت لو كنت كذلك لم تقله .



النقد والقومية العربية

للاستاذ : رئيف خوري

... يكفينا نقطة انطلاق ان ندرك أن النقد الادبي كما عرفناه في الادب العربي القديم ، اصبح لا يفي بالغرض المقصود ؛ وان كان فيه الكثير مما نستضيء به وينبغي لنا أن نستبقيه ولا سيما ما اتصل منه بما اسميه عبقرية التعبير العربي . كذلك لابدمن الاقرار ان النقد الادبي، كما عرفته الحقبة الاخيرة من عصر الاحياء والنهضة، يشكو نقصا بارزا. فهذا النقد يغلب عليه حين يتناول الآثار الحديثة ان يتأثر بعلاقة شخصية ، او يتأثر بمجرد شعارات تعجبه يجدها مرددة في الاثر الادبي ترديدا ساذجا فجا ، او يتأثر بمقاييس منقولة نقلا آليا عن محاولات النقد الغربي . الا انه على كل حال قليلا ما يصدر عن تلك الفلسفة الخاصة التي تتبلور فيها سمات القومية العربية التحررية الجديدة . وكذلك شأن هذا النقد فيما يتصل بتقييم تراثنا الادبي القديم . فترى الناقد يدرس فيه البيئة الزمنية والمكانية التي انشىء فيها الاثر الادبي ، او يعمد الى تقييمه بمقتضى مقاييس قديمة او مقاييس مستوردة ، غير انه قليلا ما يصدر في هذا التقييم عن تلك الفلسفة الخاصة التي تتبلور فيها سمات القومية العربية التحررية الجديدة ، والتي بها نستطيع ان نحول عملية التقييم للتراث القديم الى عملية استصفاء لما في هذا التراث من صحة فكرية او روعة جمالية تغذينا اليوم وتعيننا على أن نؤصل قوميتنا العربية التحررية الجديدة فتصبح ، لا انقطاعا ؛ بل اتصالا ونموا .

وهنا ، سأذن لنفسي ان اعرض لبضعة آراء اصبحت تأخذ بها مناهج النقد الحديث عندنا كلها او بعضها .

من هذه الآراء مثلا ، ان العمل الادبي محض فن ، يريدون بذلك انه لا اخلاقي .

ومن هذه الآراء ايضا ان الشعر العربي مفتقر الى ثورة تعصف بقالبه القديم . فنتناوله بالتبديل من حيث القالب ، اي الوزن والقافية ومن حيث التعبير .

ومن هذه الآراء ايضا ان كل هذا الشعر الذي انفق فيه الشعراء جهدهم يمدحون غيرهم او ذاتهم يعظمون او يتعظمون ، لا خير فيه قط ، فحقه الاطراح

ومن هذه الآراء ان الشعر القديم تعوزه الوحدة في القصيدة ، فلنجتهد في شعرنا الحديث ان نراعي شروط الوحدة في مجمل العمل الشعري ، فتكون القصيدة وحدة لا مجموعة ابيات تكتفي من الرابط بوحدة القالب اي الوزن والقافية .

ومن هذه الآراء ايضا ان مقياس قيمة الشعر ان يطيق الترجمة دون ان يفقد سحره ووقعه .

ومن هذه الآراء ايضا ان اللغة العربية اليوم تعاني انقساما وتباعدا بين صورتها الفصحى الاصلية ، وصورها العامية في الاقطار العربية . وما دامت الصور العامية هي لغة الشعب وما دمنا نكتب للشعب فلنستعمل في الاداء الادبي صور اللغة التي يفهمها الشعب اي الصور العامية .

ومن هذه الآراء ايضا ان الادب العربي القديم انما يدرس من خلال اثر الشعوب التي اشترك ابناؤها في انتاجه ، فاذا تناولنا بالدرس كاتبا كابن المقفع او شاعرا كابن الرومي ، ووجدنا خصائص مميزة لهذين الاديبين فخير ما نعلل به لهذه الخصائص ان ابن المقفع فارسي المنبت وابن الرومي يونانيه .

ومن هذه الآراء ايضا تجاوز اهمية الموضوع في العمل الادبي تجاوزا يفهم منه ان اختيار الموضوع المتصل بالحياة مباشرة لا قيمة له وانما القيمة للاخراج الفني للاداء .

وما اريد ان امضي في استقصاء هذه الآراء . حسبنا منها ما قد ذكرناه .

ولكني اتساءل فيما يتعلق بالرأي الذي يفك العمل الادبي عن العمل الاخلاقي ، كيف يمكننا مع نظرة كهذه النظرة ان تنشىء ادبا عربيا يخدم القومية العربية ؟ او ليس من البدهي ان القومية العربية في حاجة الى تنشئة جيل متين الخلق، يتحلى قادته بالرحمة وبالزهد في المغنم الشخصي ، ويتحلى بنوه بشجاعة في النضال، وبالمسؤولية والدأب في العمل ؟ وكيف نربي هذا الجيل ان لم يكن الادب من وسائلنا . فادبنا اذا حتم فيه ان يكون خلقيا . وفنيته يجب ان تتجلى في متعته وفي بعده عن الوعظ ، لا في معارضته للاخلاق السليمة ، او في محايدته لها . اني اتساءل امن الضروري ان تكون النماذج البشرية التي يدور عليها ادبنا هي دائما ازواجا يخونون زوجاتهم ، او زوجات يخن ازواجهن ، او ابناء يفسقون بنساء آبائهم ، او مراهقين ومراهقات تحرقهم الرغبات الجنسية او مثقفين منطوين على انفسهم ينسجون ويحلون خيوط احلامهم واوهامهم في فراغ ، او مستعطين تدغدغ بتصوير قذرهم وبؤسهم شعور الشفقة في نفوسنا ونكتفي بأن نشمت بمجتمع انتجهم . اين هي في ادبنا صورة النماذج البشرية الايجابية البناءة اجتماعيا وقوميا ، وبالتالي انسانيا ؟ اين هي في ادبنا صورة الفلاح المحيي للارض ، والمهندس المبدع والعامل الخلاق ، والجندي المناضل ، والطالب المهموم بمصير قومه ، والحاكم الدائب في سعادة شعبه ، ورب الاسرة المنجب للوطن اثمن ما فيه فتيانا وفتيات ، اين هي صورة هؤلاء جميعا في ادبنا ؟ اين هو نقد الشخصيات السلبية المناقضة لهؤلاء ؟

واما فيما يتعلق باحداث ثورة في القالب الشعري العربي ، وتحرير هذا القالب من ضغطه وضيقه فنحن من الراضين المرحبين ، بشرط ان يبقى الشعر شعرا ، ولست افهم بالشعر وزنا واحدا ، نلتزم بتفاعيله التامة او ببعض هذه التفاعيل ، كلا ولا نفهم بالشعر قافية واحدة . بل لسنا نفهم به حتى وزنا او قافية . وانما نفهم به تعبيرا مكثفا ، نفهم به قولا مشحونا تنقلب فيه الكلمة الى فعل ، قولا قد حشدت فيه الطاقة حشدا ، بحيث تجيش في نفس القارىء او السامع قوة فوق ما يجيشه الكلام العادي . ونعتقد ان الشعر العربي له من هذه الصفة حظ خاص ، ونريد ان تبقى له هذه الصفة يقول ابو تمام :

هم الفتى في الارض اغصان المنى
غرست وليست كل حين تورق

فهذا تعبير شعري بنفسه وسواء اتم له وزن ام لم يتم ، وسواء اقامت له قافية ام لم تقم وقد نقول : يبذل الفتى المساعي فمنها ما ينجح به ومنها ما يخفق فيه ، وهو معنى كلام ابي تمام بالضبط . ولكنه ليس بشعر . واحتجاجنا بأن الشعب يفهمنا اذا قلنا له : يبذل الفتى المساعي فينجح ببعضها ويخفق ببعضها ، وقد لا يفهمنا اذا خاطبناه بكلام ابي تمام، ليس باحتجاج مقبول ، لان الآثار الفنية من شأنها ان تستدعي اعدادا خاصا لفهمها ، ونحن مطالبون بأن نهيىء للشعب هذا الاعداد الخاص ، اننا لا نريد ان يبقى شعبنا على حالته . بل ان رسالة القومية العربية التحررية تدور على هذا المحور بالذات ، وهي ان لا يبقى شعبنا على حالته ، بل يرتفع في مستواه الثقافي والمادي . وسنجد فيه عند ذاك من القدرة على ادراك اسرار الجمال في التعبير الرفيع ما يدهشنا ويحملنا على الاستغفار لانفسنا لاننا قللنا من مواهب الشعب .

واما فيما يتعلق بشعر المدح والفخر ، فانني لا ارانا على صواب حين ننفي منه الخير نفيا . وسبب خطأنا اننا قد اخذنا في تقييمه تارة بهذا الذي نسميه صدقا تاريخيا ، وطورا بهذا الذي نسميه لياقات صالونية . قد يكون المتنبي كاذبا في التصوير التاريخي ساعة يقول لسيف الدولة :

الجيش جيشك غير انك جيشه
في قلبه ويمينه وشماله
ترد الطعان المرعن فرسانه
وتكافح الابطال عن ابطاله
كل يريد رجاله لحياته
يا من يريد حياته لرجاله

قد يكون المتنبي كاذبا او صادقا في تصويره هذا. وليكن كاذبا او صادقا . ذلك هم المؤرخين . فاما نحن فنعتبر ان ابا الطيب قد قال هذا القول في شخصية اسطورية ، كتلك التي تعقد عليها الملاحم ، وقد جلا بهذا الكلام صفة من صفات الزعامة الحق : التضحية ، الايثار الفداء ، ونحن احوج ما نكون الى هذه الصفة البطولية في الزعامة . ففي قول المتنبي اذا ، غذاء لنا فنحن نحبه، ونحن نغذي به ناشئتنا، وليحتج الصدق التاريخي حتى تبح حنجرته .

كذلك ربما كان عمرو بن كلثوم في عرفنا قد خرق اصول اللياقات الصالونية حين قال لعمرو ابن هند :

بـأي مشيئـة عمـرو بـن هنـد
تطيـع بنـا الوشـاة وتزدرينـا

تهـددنـا واوعـدنـا رويـدا
مـتـى كنـا لامـك مقتـوينـا

ولكني ارثى للهزال فى مدارك اولئك الذين لا يرون فى هذا الشعر سوى رجل يتبجح بما يخرق اصـول اللياقة . ماذا ؟ الاترون معي ان هنا صوت انسان عربي، او صوت انسان انسان اذا شئتم ، يتحدى ملكا يعتبر الناس عبيد امه ؟ ونحن احوج ما تكون الى مثل هذه الروح الابية نغذي بها قوميتنا ، فنحن اذا نحفظ هـذا الشعر ونتشبع به ونترك اللياقات الرخوة لرجال مـن جفصين .

واما فيما يتعلق بالوحدة فى القصيدة فاننا نوجب رعاية هذا الشرط فى شعرنا الحديث شرط ان لا يفهم به أن القصيدة ينبغي لها ان تكون كالمقالة ، فالقصيدة شيء والمقالة شيء آخر . وحين لا يفي الشعر باكثر من المقالة فليعف الشاعر نفسه من عناء النظم . ووحدة السياق لا تبرر حتى فى ادق اجزاء العمل الشعري ان ندخل كلاما ميتا بحجة انه جزء من كل او قطعة فى بناء. وقد اخذت على احد شعرائنا المعاصرين ممن اتتبعهم لاني احبهم واحب مغامراتهم فى تجارب الشعر الحديث، اخذت عليه قوله : « وشربت شايا فى الطريق » .

وزعمت انه كالكلام الميت . ولم يقنعني ان يكون شرب هذا الشاي قسما من تلك التجربة الشعرية التي عبر عنها الشاعر الصديق . ولم يقنعني ان لا حق لي باجتزاء هذه الشطرة الواحدة من بناء شعري بكامله . فقد اضطر المتنبي ان يقول ان جيش سيف الدولـة الزاحف للقاء البيزنطيين بلغ بلدة سروج فى الصبـاح الباكر. على انه لم يرض الا ان يعبر عن معناه بهذا النحو المبتكر :

فلـم تتـم سـروج فتـح ناظرهـا
الا وجيشـك فى جفنيه مـزدحـم

فكان شاعرا .

واما فيما يتعلق باتخاذ الترجمة معيارا لقيمـة الشعر ، نترجمه ثم نرى حصيلة ما يكون فى ايدينا منه، فحسبي ان اطالب اصحاب هذا المذهب ان يداولوا على اثر شعري واحد فى آداب الامم ، قد امكنت ترجمته وحفظ عليه رونقه وسحره . وقد عرض الجاحظ لهذا النحو من التحكم فى الشعر ، فلم يترك مجالا لقائل حين قال : ان الشعر اذا حول سقط موضع التعجب . ونحن حين نريد اخضاع الشعر لهذا المقياس ، مقياس مـا يبقى منه اذا ترجم ، انـنا نسـيء الى عبقرية التعبير باللسان العربي ، ولكل لسان عبقريته فى التعبير ، وهذا القرآن على انه ليس بشعر كمالوف الشعر ، فلنتخذ لنا منه الآية مثلا : (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوهـا وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون) . ثم فلنعتبـر اي روعة اكتسبتها الآية حين وقفت عند مقطعها الاخير وكذلك يفعلون ، ثم فلنعتبر اي طاقة تعبيرية تفقدها الآية اذا رحنا نقول : ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ، وهذا داب الملوك فى كل زمان ومكان . فاذا كانت الآية قد فقدت هذا القدر من طاقتها التعبيرية بمجرد تحويل بعضها من اللسان الى اللسان نفسه ، فانى لا ارى كيف نستطيع ان نسلم باتخـاذ الترجمة من لسان الى آخر مقياسا لتقييم الشعـر او تقييم حتى الآثار الادبية عامة .

واما فيما يتعلق بالمفاضلة بين العامية والفصحى، فاننا نقول ان القومية العربية ينبغي لها فى الاداء الادبي ان تؤثر الفصحى ، فهي لغتنا القومية العربية الجامعة ، لا لغة الاها ، والذين يدعون للعاميات هم الذين يريدون فصم عروة حيوية من عرى وحدة القومية العربيـة . وما احسبنا نريد ان نمشي فى ركاب هؤلاء . والاحتجاج بأن الشعب لايفهم الفصحى ذريعة ينبغي لنا ان نقضي عليها ، ونستطيع ان نقضي عليها بتعليم الشعوب العربية لغتها الفصحى الجامعة ، واننا لن نستطيع ان نبنـي قوميتنا العربية الجامعة اذا اذنا بأن تصبح العاميـات وسيلة الاداء الادبي . ومن كان يرى فى الفصحى نقصا فعليه ان ينتظر حتى يستكمل بناء القومية العربيـة الجامعة ، ثم يدعونا الى لغة عربية عامية شرط ان تكون واحدة . وحدة اللغة. هذا هو المهم فلا قومية بلا وحدة فى اللغة .

واما فيما يتعلق برد خصائص الادباء الى اصلهم الجنسي قبل الاستعراب ، فاننا نقبله حين يقبله العلم، وحين لا يراد به شعوبية ترمي الى جحد فضل العرب بتجريدهم من كل من جمعت قافلة ادبهم فى عصـور تاريخهم . والعلم حين ندرس اديبين كابن المقفع وابن الرومي مثلا ، يثبت انهما مدينان فى خصائصهما لهـذا العصر العباسي الذي كان بحسناته وسيئاته مرحلة من المراحل فى تاريخ الادب العربي . ولا تكفي فارسية ابن المقفع ولا يونانية ابن الرومي لتفسير عبقريتهما ، وانما يستطاع تفسير عبقريتهما فى حدود هذا العصر العباسي الذي تلاقت فيه تيارات متعددة من عربية وفارسيـة ويونانية وهنديةواسلامية ومسيحية ومجوسية وغيرها وتفاعلت لتؤلف الثقافة العباسيـة .

واما فيما يتعلق بتهوين خطر الموضوع في قيمة العمل الادبي ، ووقف الاهمية كلها على الاخراج والاداء، فراي لا يرضاه مذهب في النقد يراد به خدمة القومية العربية . لسنا نريد التضييق على الاديب العربي فيما قد يؤثر من موضوعات . ولكننا جميعا تذكر قصة زنطيب امراة سقراط ونضحك :

يروى ان المسكين حين حكم عليه بشرب السم جعلت امراته تصيح به : **يقتلونك ولم تشتر لي القبقاب الذي وعدتني به .**

اننا على يقيننا ان القومية العربية لا يمكن قتلها كما قتل سقراط بالسم ولا بغير السم ، لا نزال نطالب الاديب العربي ، بأن لا يقف موقف زنطيب ، فلا يكون له هم سوى القبقاب ، بينما تشغل قومه وتشغل الدنيا احداث جسام حاسمة في تقرير المصائر . ان الموضوع في الادب هو دليل رصانة التجربة التي يتمرس بها الاديب ، اهي تجربة عنته شخصيا ولها معنى بالقياس الى حياة امته ، ام هي تجربة فرد منطو على ذاته . لقد لوحظ بحق ان ادبنا العربي القديم والحديث تكثر فيه تجارب الافراد المنطوين على ذواتهم ، فلا بأس بأن يخرج ادبنا العربي من « شرنقته » كما يقول مفكرنا وفناننا الخالد عمر فاخوري .

ايها الاخوان الزملاء ،

ترون ان هذا الذي استطعنا ان ننتهي عنده في غرض النقد والقومية العربية جد يسير ، واذا كان لي ان اؤكد على شيء ، فهو ان القومية العربية في حاجة الى فلسفة حياة نحياها ، ونظرة شاملة الى الوجود . ومن واجب الناقد العربي ان يساهم في رسم هذه الفلسفة القومية العربية التحررية المتطورة ليستطيع على ضوئها ان يقوم ادبنا القديم والحديث تقويما فنيا وفكريا وخلقيا في مصلحة قوميتنا النامية .

وشيء آخر اريد ان اؤكد عليه ، ان عملنا كله يبقى لنخبة ضيقة المدار ، ما لم نحمله الى الشعب وندخله في وعي الشعب، شرط ان لا نتخذ من مستوى الشعب وهو في حالة راهنة معينة ، ذريعة لانتاج ادب ركيك . فلنكتب للشعب اذا نقدا كأدق ما نستطيع النقد، ولننتج له ادبا كارفع ما تبلغ اليه طاقتنا في انتاج الادب ، فان لم يفهم الشعب اليوم فهم غدا . وان لم يفهم بنفسه اعانه على الفهم هؤلاء الوسطاء الذين نسميهم النقاد ، وان استغذتم منهم بالله في احيان . فاما اذا آثرنا ان نتجه الى الشعب بكتابة نعلم ان الجمال يعوزها في الشكل والمضمون ، فلنؤمن ان نصيب ادبنا ونقدنا بقاء موقت ، لان الشعب سرعان ما يتجاوز الدور الذي يجد به متاعا وغذاء في آثارنا .

اني لارحم الاثر الادبي الذي يستطيع القارىء ان يستنزف ما فيه بقراءته مرة واحدة . ينبغي في الاثر الادبي الرفيع ان يصدق فيه قول ابن الرومي في وحيد :

اهي شيء لا تسأم العين منه ام لها كل ساعة تجديد؟

محاكمة بقرة

المعروف عن بعض الدول في العصور الوسطى انها كانت تقدم الحيوانات والحشرات والطيور للمحاكمة ... وتسجل ملفات المحاكم في فرنسا انه قد صدر 92 حكما ضد بعض الحيوانات المختلفة فيما بين عام 1420 وعام 1740 وكان آخر هذه المحاكمات الحكم على بقرة بالاعدام (ذبحا) لانها طاردت شيخ القرية بين المزارع والحقول واضطرته الى القاء نفسه في مستنقع لكي ينجو من قرنيها الحادين .

الشاكر والصابر

دخل عمران بن حطان يوما على امراته، وكان عمران قبحا ذميما قصيرا ، وقد تزينت وكانت امراة حسناء ، فلما نظر اليها ازدادت في عينه جمالا وحسنا ، فلم يتمالك ان يديم النظر اليها . فقالت : ما شأنك ؟ قال : لقد اصبحت والله جميلة ، فقالت : ابشر فاني واياك في الجنة . قال : ومن اين علمت ذلك ؟ قالت : لانك اعطيت مثلي فشكرت ، وابتليت بمثلك فصبرت ... والصابر والشاكر في الجنة .



الشعر والقومية العربية :

الشعر ارث قومي ثمين ، ويجب ان يأخذ هذا الارث مكانه في الثقافة الادبية العامة وفي ثقافة الشعراء بوجه خاص .

ولذلك يوصي المؤتمر بالآتي :

1) العناية بهذا التراث والاستفادة منه وكسب التجارب الجديدة له حتى يتمكن من التعبير عن حياتنا القومية المتطلعة المتطورة .
2) العمل على نشر ما لم ينشر من هذا التراث .
3) العمل على اعادة نشر ما يتعذر الحصول عليه .
4) تيسير التعريف به عن طريق العرض والشرح والتقريب .
5) تأكيد اهمية هذا الشعر في برامج الدراسة المختلفة
6) نشر مجموعات مختارة من الشعر القومي .

* * *

النثر والقومية العربية :

للنثر العربي بما توافر له من وسائل النشر والاذاعة وبتنوع الاشكال الجديدة التي اتخذها في القصة والرواية والمسرحية والمقالة والتأليف على اختلاف موضوعاته ، أثر بليغ في توجيه حياة الشعوب ، وفي تكوين الاجيال الفنية الناشئة ، ولذلك يوصي المؤتمر بالآتي :

1) ان تعنى الآثار النثرية بتقوية الوعي القومي وارهاف الشعور واستشراف الغايات الانسانية واستلهام القيم الروحية السامية ، وايثار الخير العام ، مع الحرص على الاتقان والاجادة الفنية .
2) ان يعنى الناثرون بابراز السمات الايجابية في الشخصيات والنماذج التي يصورونها وبخاصة تلك التي تعبر عن القيم العربية . . .
3) ان تكون اللغة العربية الفصيحة هي اداة النثر بكل اشكاله .

* * *

النقد والقومية العربية .

يستطيع الناقد في المرحلة الحاضرة من حياة الامة العربية ان يشارك مشاركة فعالة في التوجيه القومي ، بتجلية القيم الفنية ، والاشادة بالخصائص القومية ، والمثل الانسانية ، وتعريف القراء بها .

ولذلك يوصي المؤتمر بالآتي :

1) ان يأخذ الناقدون انفسهم بالجد في اداء مهمتهم في عمق ونزاهة .
2) ترجمة الآثار النقدية القيمة .
3) توحيد المصطلحات الفنية في النقد العربي .
4) انشاء مجلة يكون من مهمتها الاساسية حصر النتاج الادبي وعرضه وتقييمه، والاهتمام بالمباحث النقدية ، وتأصيل مفاهيمه ، واشاعة روح الموضوعية فيه .

* * *

حماية الاديب والقومية العربية :

1) يوصي المؤتمر الحكومات العربية بالعمل على تعميم وتنفيذ المادة الخاصة بحماية الملكية الادبية ، المنصوص عليها في اتفاقية الوحدة الثقافية العربية
2) يناشد المؤتمر الحكومات ان توفر للادباء العرب حريتهم وتحفظ كرامتهم وترفع عن المضطهدين منهم ، كل ما يحول بينهم وبين اداء رسالتهم .
3) يوصي المؤتمر الكتاب العرب الا يتعاونوا مع دور النشر التي تسيء الى رسالة الادب والحرية والقومية العربية بنشر كتب الدعاية الاستعمارية والتفرقة والتعصب .
4) يوصي المؤتمر باطلاق حرية النقل للكتاب العربي ، ورفع ما يعوق انتشاره بين البلاد العربية .

* * *

توصيات عامــــة :

1) يوصي المؤتمر بتخصيص جائزة للنتاج الادبي ذي القيمة الفنية الذي يهدف الى خدمة الحركــــة القومية ويعبر عن النوازع الخيرة فى النفـــس العربية والانسانية ، وتوزع على الادباء العرب فى كل دورة من دورات المؤتمر .

2) يوصي المؤتمر باقامة مهرجانات ادبية فى البـــلاد المختلفة للادباء الذين اغنوا التراث العربي، واغتنام هذه الفرص لتأصيل الروح الادبية والاهـــداف القومية .

3) يوصي المؤتمر بعقد ندوات واجتماعات خاصة فى الالوان الادبية المختلفة للتعارف والتعاون وتبادل الخبرة بين الادباء العرب .

4) يوصي المؤتمر برعاية حركة الترجمة وعونها المادي والمعنوي حتى تكون سبيلا لتعزيز النتاج الادبي وانمائه ، والتفاعل بين الادب العربـــي والآداب العالمية .

5) يوصي المؤتمر باشاعة التدريس باللغة العربيـــة الفصيحة فى مراحل الدراسة .

6) يوصي المؤتمر المجامع العلمية باستخلاص الفصيح السليم من العامي الذائع واشاعته فى الاستعمال اللغوي ، وتصحيح ما يمكن تصحيحة واجازة ما تصح اجازته لاستكمال اسباب التمكن من اللغة الفصيحة .

7) يوصي المؤتمر اتحاد الادباء عند تكوينه بان يعمل على توثيق الصلة بينه وبين سائر الاتحادات الادبية التي تستهدف مثل اهدافه .

احاديث وحكم وامثال

اذا امسيت فـلا تنتظر الصبـــاح واذا اصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .

عبد الله ابن عمر

روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فـــان القلوب اذا كلت عميت ...

حديث شريف

علامة المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا أؤتمن خان .

حديث شريف

لا تحملوا اولادكم على اخلاقكم فانمـا خلقوا لزمان غير زمانكم . عمر بن الخطاب

الإسلامُ والمذهبُ المادّي

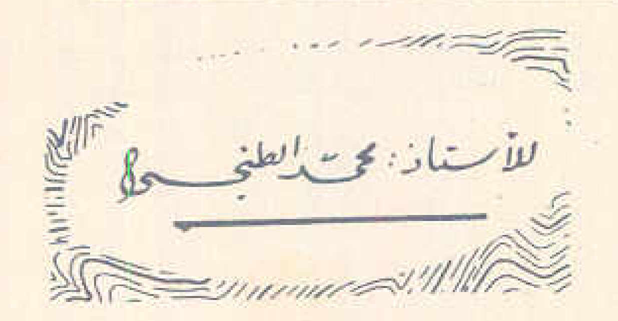
الاسلام عقيدة وقول وعمل .

وعقيدته انزلت وقت بلوغ العقل البشري طور رشده وكماله ، فجاءت بالتوحيد الخالص والتنزيه البالغ ارقى صوره واشكاله ، فكانت عقيدة روحية ترفع من قيمة الانسان لانها تصله بربه لتقديسه وعبادته وطاعته ، والاقرار بانه رب واله واحد لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله ، ولا تبيح تلك العقيدة للانسان ان يتعلق بالمخلوقات في هذه الغايات ، او يدعو ويعبد غير الخالق الاعلى ، الذي ابدع بقدرته وفق حكمته جميع ما يشاهد ويحس او يعترف بوجوده في عالم الكون .

والاسلام من جهة اخرى دين اجتماعي ، يراعي حاجة البشر ومصالحهم الحيوية ، فيرضيها ، ولكن في حدود الحق والفضيلة ، وباعتبار هاتين الحقيقتين الروحية والاجتماعية امكن للاسلام ان يقيم مجتمعات على اسس القيم الاخلاقية ، وان يرضي مطالب الروح والجسد ، حتى ترافقا في اعتدال ، وكونا حقيقة الانسان المهذب او المؤمن الكامل ، وبالجمع بين السمو الروحي والتهذيب الجنسي امكن للاسلام ان يكون دينا خالدا بخلود الانسانية على وجه الارض ، لانه ارضى مطالبها من الوجهة الروحية والمادية في حق وعدل ورحمة واحسان وفضل .

وقد مرت على الاسلام زهاء اربعة عشر قرنا ؛ حورب فيها وحارب وانتصر وانكسر ، وشاهد فرقا واحزابا تألفت ضده واندحرت ، وجمعيات سرية هدامة عملت جهدها لتشويه حقيقته وقطع حجته بوضع خرافات واحاديث سافلة ، ونسبتها اليه ، وتحريف احكامه وآياته بتاويلات فاسدة باطلة ، فظهر بعد ما اصلته بنيران مكائدها ذهبا ابريزا ، ودينا قويم المبادىء عزيزا ، بفضل ما ابداه حفاظ السنة المخلصون، واساطين علماء شريعته النابهون .

والحقيقة ان المفكر يقف بعد مرور هذه القرون الطوال على ظهور الاسلام معجبا باثره في الشعوب التي اعتنقته ، وكيف صبغها بصبغة الله التي هذبت النفوس من رعونتها ، وطهرت القلوب من دغلها ، وصقلت



عقائد التوحيد الذي هو دين جميع الانبياء من بدع الشرك والضلال ، وبعثت الطمانينة في المسلمين حتى احسوا بضروب من السعادة في ظل دينهم ، جعلتهم راضين مطمئنين ، ومغتبطين بالاسلام ، يفدونه بالمهج والارواح ، ولا يبغون به بديلا ، او يرضون عنه تحويلا.

وان كل من درس التاريخ الاسلامي في مختلف بقاع الاسلام شرقها وغربها لايجد بدا من الاعتراف بان الاسلام حرر العقول واطلقها من عقال الاغلال ، ونفى عنها الخمول ، وبنى الممالك ، واسس الدول ، واوجد الحضارات ، على اسس القيم الاخلاقية والعدالة الاجتماعية .

كما ان حضارته وعلومه في مختلف فروع المعرفة التي نمت في ظله ، وترعرعت تحت احضانه وبكفالته ، كانت اصلا ولقاحا لحضارة العصر الحاضر ، واذا اعترى دول الاسلام ضعف او انحطاط في ازمنة التاريخ ، فذلك سنة الله في كونه ، على ان شباب الامم قد يعود على ايدي المجددين المخلصين من ابنائها .

الا ان حضارة هذا العصر تربت في مهد غير ديني، على غير رضى من الكنيسة ، فنافرت الروحيات ، واعتبر بعض اهلها ان المادة هي العنصر الاساسي فيها ، ويزعم المتخرجون من مدارس هذه الحضارة المادية انه بتنظيم الحياة على اساسها يرتفع مستوى الامة، وتستقر حياتها ، ويطمئن بالها ، وان المجتمع لا يتضرر ، اذا اغفلت فيه القيم الروحية ، او محيت منه التقاليد الاسلامية ، او الدين بوجه اعم ، ووجود هذا الاتجاه في بعض شباب الامم الاسلامية هو من بقايا رواسب

استعمار العقول ، التي ظل الاستعمار يسممها بمكر وخداع طيلة مقامه في البلاد الاسلامية المستضعفة .
ومع الاسف نرى الامم لا تتعظ بغيرها فتجتنب الاغلاط التي وقعت فيها الامم التي سبق استعمارها ، بل آفة المادية تصاب بها طبقة من الشباب النزق في كثير من الامم .
فقد وجد هذه النزعة الشيطانية في الهند ، موقظ الشرق جمال الدين الافغاني ، فساءه ذلك حتى الف رسالة حافلة سماها الرد على الدهريين ، لانه راى بثاقب فكره ان فكرة المادية ستقضي على روحانية الهند التي هي مناط الامل في تحررها ، وقد عرب هذه الرسالة بمعونة احد اتباع الشيخ جمال الدين ، تلميذه الوفي الامام محمد عبده رحمهم الله جميعا .

ثم ان مصر من جهتها لم تسلم من هذه النعرة الالحادية ، الا ان الله لطف بداعية من دعاتها فعاد الى الحق ، وكفر عن نزواته بما جعله في سجل الخالدين ، فقد كان محرر السياسة الاسبوعية بمصر حوالي سنة 1928 فما بعدها الاستاذ المرحوم محمد حسين هيكل باشا من دعاة هذه المادية ، الا انه اتصل به كتاب حياة محمد باللغة الفرنسية لمؤلف فرنسي ، فاخذ يترجمه ويعلق عليه ، واخذ جمهور من شباب مصر المثقف يقرأ حياة نبي الاسلام ، بشوق واهتمام ، فانقذ هيكل نفسه وانقذ طوائف من شباب مصر . وسمعت انه صار شديد المحافظة على اقامة الصلوات في وقتها ، حتى انه لما كان وزيرا لمعارف مصر ، كان يوقف المقابلات والاشغال الادارية وقت دخول وقت الصلاة حتى يؤديها ، وقد زار قبر المصطفى فاخرج للامة الاسلامية كتابا خاصا به باسلوبه الجذاب هو كتاب « في منزل الوحي » فجزاه الله عن الاسلام خيرا .

وان مصر منذ ذلك العهد وتمسك طبقاتها الراقية بدين الاسلام في تزايد مستمر ، وقد اخبرني سفير المغرب في القاهرة سعادة الاستاذ الطريس بان التدين تغلغل في الاوساط الراقية في مصر في هذا العهد الى حد كبير ، على غير ما كنا نعهده في بعض تلك الاوساط وقت دراستنا هناك ، وذلك بفضل تدين رجال الثورة وعدم انغماسهم في حياة الترف ، فنطلب الله ان يوفق من يزيغ عن الجادة من بعض شباب المغرب الى الاقلاع عن زيغه ، حتى يحفظ لامته وحدة عقيدتها .

وليعلم كل شاب يحترم عقله وتفكيره ، ان اعتقاد المذهب المادي الصرف ، وانكار ما عداه لا يقوم على اساس علمي . وان من ينكر الحياة الروحية باسم العلم يجني جناية كبرى على الروح والعلم معا ، لان العلم مهما علا شأنه يقف عند حدود المادة ولا يتعداها الى ما وراءها ، وعدم العلم بالشيء لا ينفي وجوده ، كما ان عدم معرفتك بالطريق لا يدل على عدمها وانها توصل الى مقصد معلوم، وما اصدق تعبير القرآن عن عدم ادراك البشر لحقيقة الروحيات حيث قال (ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ، وما اوتيتم من العلم الا قليلا) وقد حكى القرءان حال اخوان الماديين من الدهريين، ورد عليهم ظنهم الخاطيء حيث حال (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) .

على ان هناك من اساطين العلماء من يشيد بعظمة الخالق المدبر ،ويجعل هذه العوالم المادية المحسوسة من اسطع البراهين واقواها دلالة على وجود الاه مدبر عظيم وراء هذه المادة ، لاحد لعظمة قدرته ، كالعالم الفلكي (اسحاق نيوتين) وغيره ، فقد سئل اقامة دليل وبرهان حسي على وجود الله خالق الكون ، فاستدل بسير الكواكب في افلاكها بدقة عجيبة تفوق التصور . قال : وذلك لا يمكن ان يكون صدفة وبدون خالق مدبر عظيم .

وهذا الفلكي كغيره من عظماء العلماء ، يقود المفكرين ان تجردوا عن تقليد الماديين الى النظر في استدلالات القرءان بالاحوال الكونية على وجود الخالق العظيم ، وعظمة قدرته ، وبديع صنعه .

وما ابلغ القرءان في لفت نظر العباد الى الادلة الكونية حيث قال : « او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء » وقال ايضا « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق» ومن المأثور عن الفيلسوف ابن رشد : « من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله » يعني تشريح الابدان وعلم وظائف الاعضاء وتركيبها. وقال الله تعالى (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون) .

وان شيخ الاسلام ابن تيمية ، يرى ان من ادلة القرءان ادلة يقينية برهانية فانه قال : (وهو سبحانه اذا ذكر الانبياء ، نبيا وغيره ، ذكر انه ارسلهم بالآيات البينات ، وهي الادلة والبراهين البينة المعلومة علما يقينا ، اذ كل دليل لابد ان ينتهي الى مقدمات بينة بنفسها ، قد تسمى بديهيات ، وقد تسمى ضروريات، وقد تسمى اوليات ، وقد يقال هي معلومات بانفسها) .
ويرى ابن رشد ان القرءان فيه الادلة البرهانية ، فانه قال : (ان الكتاب العزيز اذا تؤمل وجد فيه الطرق الثلاث (يعني طرق الاستدلال) الموجودة لجميع الناس، والطرق المشتركة لتعليم اكثر الناس والخاصة) .

ولهذا نرى المتدينين يعتبرون بحق ، ان اصلاح القلوب ونزاهة النفوس والاخلاص فى العمل بطاعة الله واداء حقوق عباده ، ورعاية هذه الحقوق ، هي التي ترفع من قيمة الامة ، وان الطهارة الروحية هي منبع السعادة وراحة الضمير فى هذه الحياة ، وان الاستعداد لحياة اخرى فى عالم ارقى من هذا العالم ، لا يكون بغير تزكية النفوس على طريق هداة الانسانية ، انبياء الله الذين عاشوا نموذجا مثاليا للكمال الانساني ، وان المادة يجب ان تخدم الروح لان الروح ارقى وارفع منها .

ومن جهة اخرى نرى ان المتدين دائما يراعي الواجبات التي يفرضها دينه عليه مراعاة لا هوادة فيها ، ومن ذلك مصلحة الوطن العليا .

وقد كانت شدة التمسك بالدين فى عهد الاسلام الاول ، اهم العوامل فى انتصاراته وفتوحاته ، ولا زال كل مخلص لدينه عامل بوصاياه ومبادئه ، يؤدي لامته ازكى الخدمات ، ويبوئها ارفع الدرجات ، وان جل من فسدت عقيدته لابد ان تطغى مصلحته الخاصة على مصلحة امته العامة ، وبالخصوص على مصالح غيره من ذوي المآرب والاغراض ، فتفقد الثقة منه ويتنكب النابهون عن اسناد اي امانة اليه ، وما احسن وصية الحافظ ابن حزم فى شان المستخفين بالدين ، فانه قال (ثق بالمتدين وان كان على غير دينك ، ولا تثق بالمستخف وان اظهر انه على دينك ، ومن استخف بحرمات الله فلا تأتمنه على شيء تشفق عليه) .

على ان الاسلام كبرنامج عملي اصلاحي للحياة الانسانية ، تنضوي تحت لوائه قرابة خمسمائة مليون او يزيد ، تؤمن بعقيدته وتقوم بتعبدها وفق عبادته ، وتعمل بشريعته ، وتتأدب باخلاقه وآدابه ، جدير وحقيق بان يدرس ويبحث من جديد ، لاجل الاطلاع على مزاياه ، وكشف اسرار هدايته وعناصر خلوده ، كهداية كبرى الاهية للانسانية عامة ولامة الاجابة خاصة والله ولي التوفيق .

خير ما يصنع

سئل الفضل بن يحيي وزير الرشيد : (ما خير ما يصنع المرء اذا اقبلت الدنيا عليه واذا ادبرت عنه ؟) .

فقال الفضل : (خير ما يصنع ان ينفق فى الحالتين ، فالدنيا فى حال الاقبال لا يفنيها الانفاق ، وفى حالة الادبار لا يبقيها الامساك) .



2

المورد الاحلى :

ونعود مرة اخرى الى (المورد الاحلى) او الى مقدمته على الصحيح ، فصاحبه يذكر : (انه لم يزل يخطر بباله ـ ابان اشتغاله بكتاب (المحلى) ـ ان يختصره ، غير متصرف فيه ، بان يختصر اسانيده الى حيث انتهى مصنفه ، ضابطا لهذه الاسانيد من المصنف الى ذوي المصنفات الذين روى عنهم ، ويسردها مقدمة في اول الكتاب ، ويقتصر فيما بقي على ذكر اسم الصحابي والمخرج ، مثال ذلك : البخاري عن انس ، مسلم عن ابي هريرة ... فيحصل من هذا معرفة طرق روايته لما روى ، مع السلامة من تكريرها) .

ثم افاض القول في الدواعي للاستغناء عن ايراد الاسناد والاقتصار على ذكر المخرج ، من غير ان ينسب ذلك لابن خليل ، وقد سبق ان نقلنا عن ابن خليل احالته على ما تقدم له من ذكر حذف الاسناد ، مع ان صاحب (المورد الاحلى) لم يورد شيئا من ذلك منسوبا لابن خليل !

ثم ذكر صاحب (المورد الاحلى (انه كان يحجم عن هذا الاختصار ادبا مع مؤلفه ـ رحمه الله ـ الى ان راى الكتاب الموسوم بـ (**المستحلى) من كتاب (المحلى)**

الذي اختصره شيخ الاسلام ... ابو عبد الله محمد ... الشهير بابن الذهبي ، فسح الله في اجله ، وتقبل عمله ، وقابله مع اصله ، ليرى : كيف صنع ؟ ويقفوه فيما جمع ، ويتبعه ، اذ حق مثله ان يتبع .

الطعن في (المستحلى)

فوجده قد حذف من مسائله جملة ، وصيره ـ بعد ان كان فاضلا في نوعه ـ فضلة، وربما ادخل ترجمة مع اخرى ، وراى ان هذا الفعل فيها احرى ، وهيهات، وانى له ما طلب ، ولكن الدهر يظهر العجب ، لان الكتاب انما سيقت متونه على ما هو مبني عليه من تراجم مسائله ، فاذا حذفت المسالة برمتها وادخلت اخرى فيما بعدها ، ولم يذكر ما يوضحها من ترجمتها بنصها، فقد نزع ـ والله اعلم ـ عن الكتاب حلاه ، وامر على من يطالعه من بعده ما منه استحلاه ، فليته حصر ، قبل ان يختصر .

هذا ، مع كونه لم يسلك فيه مسلك الاختصار على من يطالعه من بعده ما منه استحلاه ، فليته حصر، قبل ان يختصر .

هذا ، مع كونه لم يسلك فيه مسلك الاختصار على شرطا قرره ، وانما استحل شيئا فسطره ، فبتر الكتاب ، والله اعلم بالصواب .

وربما اورد على المصنف ما لم يرد ، واقدم عليه ببادىء الراي ولم يجتهد ، والزمه ما لم يلزم ، وحكم عليه ـ وهو لم يحكم .

فزاد هذا صاحب (المورد) احجاما الى احجامه ، وجدد له اقحاما الى افحامه ، قال : وهو ـ اي الذهبي ـ وان كان احد مشيختنا ـ رضوان الله عليه ـ فالحق احب الينا من افلاطون ... كما قال ارسطو ، وله نفع الله به ـ على كل حال ـ اجر .

ولما يسر له الوقوف على الكتاب الموســـوم بـ (القدح المعلى) في اكمال (المحلى) ... الفاه قد طابق اسمه مسماه ، ولفظه فحواه ، سبق لبعض ما امله ، لكنه اتى ببعض ما تخيله . فانشرح صدره لما احجم عنه ، واستخار الله فيه ، ورأى ان يضم الكتاب المذكور اليه ، على الشريطة المقدمة .

وقد اعتذر ابن خليل عن اخلاله (بجامع الايصال) لانه لم يجده، وقد وجده صاحب (المورد الاحلى) ومعه (جامع المجلى) ، فوعد بان يضم ــ ان شاء الله ــ (جامع الايصال) عند فراغ الكتاب ،ويتلوه (بجامع المجلى) اذ هو الكتاب المشروح ، ويسوق بعد ذلك تراجم من روى عنهم ابو محمد ، على اختصار نافع ، وطرق اتصال رواية مصنفات ابن حزم بالمؤلف ، وبه يكمل ان شاء الله المجلد الاخير .

ثم اعلن انه : (لم يتصرف على ابي محمد ــ رحمه الله ــ في كلمة فما فوقها ، محتجا بان الامام ابن خليل، وناهيك به ، قد تقدمه في هذا ، وانه انما احب شيئا ورأى من تقدمه اليه ، مستحسنا ذلك لديه ، فنحى نحوه .

وانه لم يقصده فيه بنو الزمان ، ولا تكرر اليه في تقاضيه الاخوان، ولم يسأله اياه مرتغبين على اسعافه، ولا الزمه ذلك من بحَّ بحلي اتصافه ، ولا اعتذر فيه بعذر ، ولا شكى توالي خطوب دهر ، ولا قدم رجلا واخر واخرى) .

وهنا نقف مرة اخرى لنتساءل : هل وفق صاحب (المورد الاحلى) لتحقيق برنامجه ، فاتم الكتاب على الوجه الذي قرره ، او حال حائل بينه وبين ما عزم عليه ؟

ومن هو مؤلف (المورد الاحلى) هذا ؟

اننا لم نعثر الا على الجزء الاول من اربعة او خمسة ، بناء على ان الجزء الاول قد تضمن تلخيص ما يقرب من خمس الكتاب ، وعبارة وثيقة الوقف المتقدمة : المكتوبة على اول ورقة منه ، يدل على اول ورقة من الجزء الاول ، تكاد تشعر بان هذا الجزء وحده هو الذي اوقفه المولى الرشيد .

كما انا لم نعثر في شيء مما وقفنا عليه ، او رجعنا اليه ، من كتب التراجم ومعاجم الكتب وفهارسها على ذكر لهذا الكتاب ، وانما وقفنا على تسمية مختصرات (المحلى) لابن عربي الحاتمي ــ وهو موجود بتونس ــ ولابي حيان (الانوار الاحلى) ، وللذهبي .

اهمية بالغــة

وعلى كل حال ، فلا تخفى الاهمية البالغة التي (لمقدمة المورد الاحلى) بالنسبة للدراسات الحزمية التي يلاحظ الباحث بمزيد الغبطة والابتهاج ازدياد عدد المشتغلين والمعنيين بها ، في الغرب وفي الشرق على السواء .

فهي تقدم لنا وثيقتين ، احداهما يحتمل ان تكون اندلسية او مغربية ، من القرن السابع ، والاخرى مشرقية من القرن الثامن ، مكتوبتين بقلمي حزميين ، ونحن لا نكاد نعثر على نظير لهما ــ فيما وصل الى ايدينا ــ الا عند الحافظ الحميدي (قبل 420 ــ 488) في (جذوة المقتبس) في حين ان اخبار وآراء بقية الحزميين لانكاد نعثر عليها الا عندهم ، واغلب ما يكونون من خصومهم .

فاما ابن خليل فقد اوردنا من عباراته الدالة على غلوه الشديد في حزميته ما فيه غنية عن اعادة التنبيه عليه .

واما صاحب (المورد الاحلى) فان عباراته تفيض بالتقدير الكبير لابن حزم ، فهو (الامام الحجة الناقد ناصر الحق) و (لا نزاع في عدالته) وهو (عدل مطلع) (لثبوت عدالته وكثرة اطلاعه) (والاحتجاج بما روى عن اصحاب المسانيد ، كالاحتجاج بذوي المسانيد ولا فرق) .

وقد رأينا انه « لم يتصرف على ابي محمد في كلمة فما فوقها » ، ورأيناه « يحجم عن الاقدام على اختصار (المحلى) ادبا مع مؤلفه ، ولا يجرؤ على الاقـــدام الا تحت تأثير جلالة : « الامام محمد بن خليل العبدري » ، ثم انها تتضمن معلومات مفيدة عن عدة كتب :

فابن خليل يحدثنا عن (الايصال) بأنه : « عدم — اليوم — عدما لا يتأتى وجوده كاملا ابدا » كما يحدثنا في الوقت نفسه انه « وقعت اليه جملة كبيرة منه » بينما يحدثنا صاحب (المورد الاحلى) عن وجود (جامـــع الايصال) و (جامع المجلى) في الشرق في القرن الثامن، مع ان ابن خليل لم يجد الاول في القرن السابع ، رغم انه اندلسي فيما يظهر .

ومع ان النقد اللاذع الذي وجهه صاحب (المورد) لكتاب (المستحلى) للذهبي يمثل وجهة نظر حزمي مغال في تعظيم ابن حزم ، فانه ستبقى له قيمته ولا شك ، ما دمنا لم نعثر على (المستحلـى) وتتبين — اذ ذاك — بالمقارنة بينه وبين (المحلى) قيمة ما وجهه اليه صاحب (المورد) من اتهامات .

معلومات لم تكن معروفة من قبل

زملائي المحترمين : هذه معلومات طريفة لم تكن معروفة ، ولم يسبق نشرها قبل الآن ، فعســـى ان تكون اذاعتها — لاول مرة — في هذا المؤتمر الذي يضم جملة وافرة من المعنيين بالبحث والتنقيب في مختلف الاقطار ، سببا في العثور على كتاب (القدح المعلـــى) وبقية اجزاء (المورد الاحلى) ومعرفـة مؤلفيهمـــا ، فنضيف بذلك حلقة جديدة الى معلوماتنا عن ناحية من نواحي تاريخ الفكر الاسلامي جديرة بالعناية والاهتمام .

تعقيب :

هذا — وبعد الفراغ من القاء ملخص التقريـــر السابق ، وقف رئيس الجلسة الدكتور صلاح الديـــن المنجد مدير معهد احياء المخطوطات العربية ، التابـــع للجنة الثقافة بجامعة الدول العربية ، وبعد ما اشـــاد بالحديث وهنأ على التوفيق فيه ، اعلن ان بعثة اللجنة الى تونس للوقوف على نوادر المخطوطات بها وتصويرها، قد عثرت هناك على مجموع به عدة رسائل لابن حزم ، ومن بينها كتاب (القدح) وان مصورهذا المجموع يوجد الان بمعهد المخطوطات بالقاهرة .

ولكني اخشى ان يكون الدكتور المنجد واهمـا في قوله ، وان يكون عثور اللجنة بتونس على (القدح المعلى) لابن سعيد خيل للدكتور انه الذي تحدثنا عنه .

وقد اكد لي الاستاذ الكبير حسن حسني عبد الوهاب — وكان من الحاضرين — انه هو الذي كـــان معروفا وجوده بتونس ، اما (قدح) ابن خليل فلـــم يسبق له ان سمع به هو الآخر .

ثم ان (القدح المعلى) لابن خليل لابد ان يكون في مجلد او اكثر ، فقـد قدمنـا ان (تتمة ابي رافـــع الفضل) تقع في 536 صفحة من المطبوع ، اي جميـــع الجزء الحادي عشر ، وما يقرب من الربع من الجـــزء العاشر ، و (قدح ابن خليل) لابد ان يكون اكبر منها — حسبما يفهم من كلامه السابق ، او في حجمها على الاقل، فلا يمكن ان يكون — والحالة هذه — مجرد رسالة مـن بين رسائل يضمها مجموع .

وعلى كل حال ، فما دام الامر يتعلق بمصـــور موجود بمعهد المخطوطات بالقاهرة فان التأكد مـــن الحقيقة ليس بالامر الصعب .

وانا لنتمنى — مخلصين — ان يكون ما قالـــه الدكتور هو الواقع ، فتتحقق بذلك الامنية التي تمنيناها في آخر التقرير ، وتتضح — تبعا لذلك — حقائق ظلت مجهولة لدى الباحثين لحد الآن .

دور الحب في الأدب والحياة

للأستاذ محمد الرودانى

وهذا الحب الذي ما زال هو هو بتصرفه القوي في هذه البشرية منذ كانت وكان ، الم يان لنا ان نجوس خلال كوالسه ، او رحابه وابهائه ، ان كان للاحرام المقدسة كوالس ، او رحاب وابهاء ، ونسائل جلاله وقداسته هل افاد البشرية شيئا او استفاد منها .

وان الحديث عن الحب عجيب ولذيذ ، لا تكاد الاذن تسمعه حتى تستلذه فيستهويها ، كانما هي مقودة اليه بمقاود من حديد ، ولا يكاد القلب يشعر به حتى ينصاع اليه ويتفتت ، كانما مسه باكسير من كمياء او نفثة من سحر .

وقد اصبح عند الناس عنوانا على لطافة الطبع ، وسلامة الذوق ، وسمو الروح ، وحسن الخلق ، وذكاء الذهن ينظرون الى المحبين والعشاق بعين الرضى ، ويضفون عليهم الاعجاب والاكبار ، حتى شاع ذلك فعبر عنه الشعراء فقالوا :

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى
ولا خير فيمن لا يود ويعشق

وقالوا :

وما سرني اني خلي من الهوى
ولو ان لي ما بين شرق ومغرب

وقالوا :

اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العشق الا ما تلذ وتشتهي
وان لام ذو التعنيف فيه وفندا

الى غير ذلك مما تزخر به ءاداب لغتنا العربية فاحرى ءاداب غيرها من اللغات .

ومن العجب ان العشاق صاروا عند الناس اشبه شيء بالاثرياء ، اذ الناس يحترمون الثرى ولو لم يكن لهم مطمع فى ثرائه ، وكذلك يرحمون العشاق ويرثون لحالهم ولو لم يكونوا عشاقا مثلهم ، فتراهم يستبشرون لافراحهم ، ويستاؤون لاحزانهم ويرتاحون لاخبارهم فيرحمونهم فى الشدائد والنكبات ، ويغبطونهم عند المسرات والرغبات ، فلا الذ للنفوس من سماع احاديث المحبين ، وقراءة اخبار العاشقين ، ومشاهدة اشرطة مغامرات المتيمين كانهم يرون أن بذلك تتنزل الرحمات ، وتنفرج الازمات .

وقد جر هذا التقدير كثيرا من الناس الى ان اصبحوا محبين بالتقليد لا بالوجدان، فكلما ابصر انسان وجها صبيحا اراد ان يكون قيس المجنون ، وكلما عرمت الانوثة بامراة حاولت ان تكون ليلاه العامرية .

وقد ساعد الحظ هذا الحب ، فظفر من بين ضحاياه بعباقرة تمكنوا من التفنن فى التعبير عما يخالجهم منه ، وهؤلاء الضحايا هم شعراء العشاق ، فجسموا تلك الاحلام حتى كادت الايدي تتقراها باللمس، وشخصوا تلك الاخيلة حتى ليكاد الانسان يجاليها ويحادثها ، والبسوا ما قالوه فى ذلك حلة من جمال الفصاحة وسحر البيان وورنق الاسلوب، باختيار اسمى المعاني والافكار وصوغها فى منتقى الالفاظ، فجعلوها تقتحم على القلوب سويداءاتها، وتلج على النفوس قراراتها، وبعد ان لم يكن هدفهم من ذلك سوى التعبير عن احوالهم الخاصة ، اصبح صناعة لهم وفنا يرخون فيه الاعنة للمباراة والتنافس ، واضطر من ليس منهم بعاشق الى ان يتعاشق، حتى لا يخلو كلامه من التوجع والاسترحام، واصبح كل مطلع على انتاجهم عشاقا معهم احب ام كره ، لما يتضمنه ذلك الانتاج من الحفز والاغراء ، والحث والاستهواء ، خصوصا اذا صادف فى قارئه ذكاء فى الذهن ، ورقة فى الشعور ، ولينا فى الطبع وميعا فى الارادة ، وتساهلا فى الدين ، فانه يجرفه معه ويصيره بطلا فى رواية الغرام ، بعد ان لم يكن فيها سوى من النظارة ، فمن ذا الذي يسمع او يقرا :

وجاءت الى ستر على الباب بيننا
يخاف وقد قامت عليه الولائد

لتسمع شعري وهو يقرع سمعها
بوحي تؤديه اليها القصائد

اذا سمعت مني نفيا تنفست
له نفسا تنقد منه القلائد

ثم لا يتمنى ان يكون صاحب ذلك الوحي الذي تؤديه القصائد ؟ او من التي تسمعه ثم لا تتمنى ان تتنفس ان سمعته نفسا تنقد منه قلائدها ؟

أليس ان الابيات صورة طبق الاصل ، متناسقة الخطوط والابعاد والالوان ، تمثل مشهدا من مشاهد الاغواء والاغراء ، تكون الولائد القائمات على الباب المخوف اول من يمثله ويحاكيه ؟ فهو اشبه شيء بقول ابن ابي ربيعة :

وما انس ملاشياء لا انس قولها
وموقفها يوما بقارعة النخل

فلما توافقنا عرفت الذي بها
كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

فلمت واستانست خيفة ان يرى
عدوي مكاني او يرى حاسدي فعلي

واقبل امثال الدمى يكتنفنها
وكل يفدي بالمودة والاهل

فقالت وارخت جانب الستر : انما
معي ، فتكلم غير ذي رقبة ، اهلي

فقلت لها ما بي لهم من ترقب
ولكن سري ليس يحمله مثلي

أليس انه حبالة محبوكة من الاغراء والمخاتلة لاصطياد قلوب العذارى ، « والعذارى يغرهن الثناء » وقديما قال بعض المتورعين من معاصري ابن ابي ربيعة قولته المشهورة : « ما دخل على النساء في خدورهن اضر عليهن من شعر ابن ابي ربيعة » وما ذلك الا لما استشعره من مثل هذا الشعر من هدم للاخلاق، وهتك للاعراض ، وتقويض للبيوت وتشتيت للاسر ، اللهم الا ان يكون في امكان الاجساد ان تجتمع مع تشتت اهواء القلوب ، وذلك ما يأباه على الانسان طبعه الاجتماعي ، الا ان يتحول فيه هذا الطبع الى شيء من اللامبالاة، فلا عليه اذ ذاك .

وقبل ان نضفي على هذا الحب من التقديس والاجلال ما يضفيه عليه الخياليون والمغلوبون على امرهم امام سلطان الشهوات ، ومطاردة الملذات . ينبغي ان ننظر الى اصله ومبعثه ، فلا شك اننا لا نجد له عند الانسان اي دافع اكثر مما عند غيره من الكائنات الاخرى ، فهو جهاز جهزته به الطبيعة لاستمرار العمران والمحافظة على النسل ، وليتعمق الانسان في الدفاع عن الحب ما شاء ، فانه لن يجد اي حجة يفصل بها بين حبه وشهوته ، والا فلماذا لا يقول الشعر في حبه لاولاده ووالديه واساتذته ؟ بل قلما يقوله حتى في شريكة حياته ام اولاده ، فانها حتى ولو كانت اجمل نساء العالمين ، قلما يكون لها حظ من الحب بله من الشعر بعد الاتصال والمعاشرة .

ولينتحل الانسان للحب كل ما شاء من المبررات والاعذار فانه لن يعدو قول ابن الوردي :

وافتكر في منتهى حسن الذي
انت تهواه تجد امرا جلل

تجد الشيخوخة والهرم ، وتغير الملامح ، وتبدل المحاسن ، وتحول الاحوال ، ثم الموت فالتعفن فالفناء ، الى ان يخرجوا منها تارة اخرى .

واذا استفادت الانسانية شيئا من هذا الحب : فانما هو هذه الثروة الهائلة من المعاني والافكار، المسجلة في الاغاني والاشعار ، والقصص والاخبار ، التي اذا قراها القارىء خرجت به عن عالم الحس الى عالم الاحلام، فيعيش بها هنيئة حلوة لذيذة تستسلم فيها نفسه لتاجج العواطف الملتهبة ، والخيالات المتوثبة وشذى القلوب المتحرقة ، ورجع الزفرات والاهات المتصعدة ، ثم لا يلبث ان يرق فيرحم ، ثم يحبذ فيعطف ، ثم يستحسن فيقلد ، ثم يسير في النهاية مع ركب العشاق، وينضاف اليهم كما تضاف الحبة المتفتتة من الصخر الصلد الى رمال الصحاري المتبعثرة ، فاصبح المتعاشقون اوفر من العشاق ، وصار كل من دعاه الداعي الطبيعي يريد ان يكون بطلا من ابطال الحب وشهيدا من شهداء الغرام ، حتى كأن الناس كلهم قيس وليلى او روميو وجولييت .

واذا تاملنا ما تفيدنا اياه هذه الثروة الهائلة من لطائف الحب ونوادره ، واخباره السارة ، واشعاره المرقصة ، ومغامرات اصحابه الرائعة ، وما خلدوه بين جميع الامم والشعوب من مثل عليا ، وتضحيات جلى ، فلا نجد انها تفيدنا اكثر من كونها مدرسة مشوقة تحث الشباب على التخرج في الحب والغرام ، ان لم نقل في العتاه والجنون ، فابرز المحبين والعشاق في نظر الانسانية هم اولئك الذين تفانوا في هذا السبيل واستسلموا لسلطان الهوى يتصرف فيهم بكامل الحرية.

وكانك ترى معي ايها القارىء الكريم ان للشباب اليوم مهام اخرى تنتظره غير اضاعة الوقت في الخيالات،

ولكن الحقيقة التي افادتنا اياها تجارب البشرية والتي احتفظ لنا بها تاريخ الانسان ، هي ان الطريق قد شقه السابقون فسلكه اللاحقون ، وسيظلون كذلك الى يوم الدين ، وحبذا لو امكن وضع تلك الثروة الادبية الفكرية كلها فى متحف خاص يمنع دخوله على من تخشى عليهم الفتنة ، كما يعبر الفقهاء .

ومن العجب اننا نعيش اليوم عصرا طغت فيه المادة فجر طغيانها الى طلب المتعة والاكتناز فى كل شيء ، فاتخذنا لكل نوع من انواع المتعة لونا خاصا واسما خاصا تتسلل تحتهما اليه ، فصبغنا التمتع الشهواني بلون العاطفة وسميناه الحب ، فاستسلمنا له بدون تعقل ولا تبصر « ثم لا يزيدنا الورد فيه الا عطشا » فزخرت مقروءاتنا باخبار الحب والهيام ، واشعارنا بالاغواء والمجون ، واغانينا بالتهتك والاستهواء ، واشرطتنا السينمائية بالخلاعة والنساء ، حتى ان الانسان ليبحث عن مشاهدة شريط لا دخل للمراة فيه فلا يجده حتى ولو كان علميا او صبيانيا ، كان جميع دواليب الحركة البشرية قد تعاهدت على الوقوف عن الدوران ان لم تتدخل المراة فى شانها .

ومن اين تسري الفضيلة لنشيء يجد الفتنة فى الكتب ، ويتعلمها فى الرسم ، ويقرؤها فى الشعر ويسمعها فى الاغاني ، ويشاهدها فى الافلام ؟ افلا يكون معذورا اذا شاهدناه متناجيا متخاصرا فى منعطفات الشوارع ، وعلى قارعة الطرقات ، مما يجعل الانسان يتهم نفسه ويسائلها هل تقدمت الانسانية شيئا عن عهدها البدائي اولا ؟ ويظهر ان البدائيين كانوا اضبط لعواطفهم منا ، اذ لم يعرفوا اذ ذاك التفنن فى تطلب اللذة والاستهتار فى التمتع ، او ليس ان تسمية هذا النوع من الحب بالخلاعة اليق وانسب من تسميته حبا ؟ او ليس ان « النجوم » فى هوليود وغيرها من عواصم الفن والجمال يعشقون بسهولة لا تشبهها الا سرعتهم فى التسلي والتحول ، حتى انهم كثيرا ما يوثقون عرى حبهم بالزواج ولكنه سرعان ما تنفصم عراه ، فيقرا كل منهم على صاحبه قول صفي الدين الحلي

تنقل فلذات الهوى فى التنقل
ورد كل صاف لا تقف عند منهل
ففي الارض احباب وفيها منازل
فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

ومن العجب ان الانسان يسائل نفسه عندما يرى مرح هؤلاء المتناجين المتخاصرين عن الدافع لهم الى كل هذا الاقدام ، وعن مقدار تفهمهم للاداب العامة ، والحياء الاجتماعي ، فلا يجد لهم عذرا سوى انهم متاثرون بالاخلاق الاروبية التي تخلقوا بها عن طريق القراءة او المجاورة ، او عن طريق التقليد المحض ، ورضي الله عن سيدنا عمر بن الخطاب الذي راى رجلا يكلم امراة فعلاه بالدرة ، فقال : يا امير المومنين انما هي امراتي ، فقال له : فلم تقف مع زوجتك فى الطريق تعرضان المسلمين لاغتيابكما ؟ فقال الرجل : يا امير المومنين : الآن دخلنا المدينة ، ونحن نتشاور اين ننزل ، فرفع اليه الدرة وقال : اقتص مني يا عبد الله . فقال هي لك يا امير المومنين ، فقال : خذ واقتص ، فقال بعد ثلاث: هي لله ، قال عمر : الله لك فيها . واذا كنا تلامذة مخلصين لاساتذتنا الاروبيين العصريين فى هذا النوع من الحب ، فلنعترف مخلصين ايضا اننا لسنا تلامذتهم فى الحب من اساسه اذ هو كما قلنا تمديد وتمطيط للغريزة الطبيعية والبشر كلهم فيها سواء ، لان هذا النوع من الحب الخليع لم يكن معروفا عند العرب ، واذا كنا ندعي — كما يدعي غيرنا — ان ذلك يساعد الشباب على الزواج الباكر ، فان التجارب قد اثبتت ان هذه الدعوى محض خرافة سئمنا سماعها ، لان الحوادث المخجلة الناتجة عن هذه المقدمات خيبت الآمال ، والف الناس فى خيبتها المجلدات .

كما اننا اذا كنا ندعو متحمسين الى تزويج الفتاة بمن احبته واختارته ، استسلاما منا لتقليد الاخلاق والعادات الاوربية ، فينبغي ان لا نتباله عن كون الفتاة لا تستطيع مقاومة الانخداع لعاطفتها والتغلب على ضعف انوثتها لتحسن الاختيار لنفسها ، ومن هنا حظرت عليها الشريعة عقد النكاح على نفسها ، كما ادرك منها ذلك اجدادنا العرب ، الذين لم يحفظ التاريخ عن عشاقهم الا الوفاء والثبات على العهد ، ولم يكونوا ذواقين مذاقين ، فلم يكونوا يسمحون بتزويج فتياتهم ممن اشتهر حبه لهن ، اتقاء لما عسى ان تجره من العار اسبقية الاتصال و (الا فريكانطاسيون) ، والراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه :

فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنا ركوب الجنازة

وان اكثر ما لدينا من رصيد الشعر الوجداني صادر عن التياع قلوب اصحابه بحرمانهم من التزوج بمن شببوا بهن ، وفى مقدمتهم مجنون ليلى نفسه .

ومما يخفف من تحمسنا للزواج المبني على الحب وحده ما نشاهده كثيرا من حدوث التنافر بين القرناء الذين يبنون اقترانهم على الحب ، فلا يلبثون ان يتنكر بعضهم لبعض بعد ان يقضي وطرا من صاحبه ، ثم يحل الاختلاف والجفاء ، محل التوادد والصفاء ، ثم بعد الافتراق الذي كثيرا ما يكون نتيجة المآسي ، يكفر كل واحد منهم عن زلته باختيار شريك ءاخر لحياته اختيارا مبنيا على التروي والتبصر ، ومن حكم اسلافنا قولهم : « زواج ليلة ، تدبيره عام » .

وان المشاهدة قد علمت الناس ان اكثر الزيجات ثباتا على طول الزمان، هي المبنية على الاحترام والتراحم، والرغبة من اول يوم فى مقاسمة حلو الحياة ومرها ، وفى التعايش الواقعي الذي لا تشوبه شائبة من الخيال.

اما اذا اكرم الله احد الزوجين بخصلة خلقية يحتمل بها صاحبه على علاته ، فان ذلك هو الدعامة القوية لتوطيد اواصرهما، وهو مصداق قول الله تعالى : « وجعل بينكم مودة ورحمة » ، وقد راى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا طلق زوجته فقال له ولماذا طلقتها ؟ فقال : اني لا احبها يا امير المومنين ، فقال له رضي الله عنه : ويحك ، اكل البيوت يبنى على الحب ؟ واين الرعاية والتذمم ؟

وبعد فليس هذا الحب الذي ابرق به الكتاب المرتزقون والشعراء المتخيلون الا حديث خرافة مبناه على الشهوة واكثر من يصاب به الشباب الذين لم يستكنهوا بعد كنه الحياة فظنوها وردا لا شوك فيه ولا سبيل لهم الى التروي والتريث .لانهم مسوقين الى ذلك المصير بقوة الغريزة ، وجدة النشاط ، وهموم الصبا ، وقد حلل كل ذلك ابو الطيب المتنبي وادمجه فى قوله :
وما العشق الا غرة وطماعة يعرض قلب نفسه فيصاب

وذلك كل ما يستطيع التحليل ان يستخلصه من فكرة الحب . فانها نظرة اغترار ، ثم طمع شهوة ، ثم اهتمام ووسواس ، وبذلك يكون القلب قد عرض نفسه فاصيب .

واذا كان فى الناس من يستطيع ان يفاخر بان التتيم من صفات الانسانية الكاملة ، او ان هذه الانسانية قد استفادت من هذا الحب الذي دللها واغواها حتى ارخصت فى سبيله كل غال عليها ولو كان من الاخلاق والمروءة ، فان ذلك منهم محض مغالطة ، لان الانسانية الكاملة هي التي تستطيع ضبط نزواتها وغراراتها ، والا فانها لا تزال الى الحيوانية العامة، اقرب منها الى الانسانية الخاصة .

كما اننا اذا اردنا ان لانتجاوز الواقع ، لا بد ان نعترف بان الحب هو الذي استفاد من الانسانية بدل ان تستفيد هي منه ، لان كل عمله هو نحوها هو انه الهب فيها جذوة كانت الطبيعة قد خبأتها فيه لتقدحها عند الحاجة فقط ، فجنى عليها باخراج تلك الجذوة عن حدود الطبيعة ، فى حين ان الانسانية قد اشادت به واضفت عليه من حلل الزينة والرونق واللطف فى الاغاني والاغاريد والاقاصيص والاسمار ، وفى التماثيل والنقش على الاحجار ، ما ضمنت له به الخلود والتقديس ، وما لا نظن انه ظفر به عند غيرها من المخلوقات .

واننا فى انتظار اليوم الذي تتخذ فيه الانسانية انجع الوسائل لانقاذ الشباب من هذا الداء العياء الذي نسميه الحب ، والذي يعوقه عن التقدم الفكري والروحي ، ويقطع عليه الطريق نحو السمو الذي ينتظره والذي خلق له .

واما هذه الاشعار الحلوة اللذيذة الاخاذة التي يقولها المحبون فى الحب والاحباب ، فليس لنا ان نسلمها على انها حجة لاستحسان ما استحسنوه ، لانها تصدر منهم فى اوقات يفقدون فيها التوازن الذي هو شرط فى اصدار الاحكام ، وصاحب الحاجة اعمى كما يقولون ، ومن ثم كان لاصوت له فيما اعمته حاجته عن التبصر فيه .

وان البيتين الواردين فى صدر المقال وهما : اذا انت لم تعشق ولم تدر ما الهوى الخ ، والذين سمعنا الادباء يستشهدون بهما على سداد رايهم ، وينتقلون بهما فى مجالس انسهم لتذيذها ، لا يصلحان حجة ، لانهما قد قيلا من اول الامر بقصد الاغراء والتدليس ، فهما من قصيدة طويلة اعلن بها الشاعر الاحوص المعروف المغنية حبابة على افساد توبة الخليفة الاموي يزيد بن عبد الملك ورده الى حظيرة المجان والمتهتكين بعد ان كان قد تاب وهجر تلك المغنية ولهوها، فبعثت الى الاحوص تستنجده على اغواء الخليفة فانجدها بهذه القصيدة ، فترصدت له فى مقصورتها وقت الخروج للصلاة فجعلت تغنيها فاستوقفه الصوت .

وذو الشوق القديم وان تسلى
مشوق حين يلقى العاشقينا

كما يقول عمر بن ابي ربيعة ، فلما بلغت المغنية ذينك البيتين لم يشعر يزيد حتى اقتحم عليها المقصورة وامر من يخرج للصلاة بالناس ، واعتكف هو على (التوبة من توبته) كما قال شاعر الحمراء رحمه الله .

وقد اقر احد هؤلاء الشعراء ، فى البيت الثاني من البيتين التاليين بان ما هو فيه قد غطى على بصره عن ان يرى الاشياء على حقيقتها فقال :

قالت وابثثتها وجدي وبحت به
قد كنت عندي مكان الستر فاستتر
الست تبصر من حولي فقلت لها
غطى هواك وما القى على بصري

وتشكك ءاخر فى امره فسأل نفسه قائلا :

امغطى مني على بصري بالـ
ـحب ام انت اكثر الناس حسنا ؟

ويرحم الله سلطان العاشقين الشيخ عمر بن الفارض اذ جعل مطلع احدى كبريات قصائده

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى
فما اختاره مضنى به وله عقل

النزعة الذرائعية في العقيدة الإسلامية

للأستاذ الحسن السائح

2

لقد انتهت الفلسفة الى مذهب (جيمس) الذي اشتهر مذهبه الفلسفي باسم (البراجمتزم) او الذرائع، وكان مذهبه تحويلا للفلسفة العتيقة التي امتدت من لدن الاغريق تحاول عبثا خرق المجهول ، او كان نقطة البدء لتركيز نواة تفكير من نوع آخر ، واذا كان من المالوف في الفلسفة ان تجد لمذهب (جيمس) نظائر في التفكير القديم ، فان من المالوف ايضا ان ينسب المذهب لمن جعل منه محور تفكيره الخاص ، وهكذا بالرجوع الى الطبيعة الاولى للدين الاسلامي بالاخص ،نجد انفسنا امام مذهب عملي ايجابي لا يباين التعاليم الذرائعية، وان كان يغايرها في اسلوب العرض وزاوية النظر الى المشكل ... وبالتالي الى الحياة نفسها .

لم يجد الباحثون في تعاليم الاسلام الاولى ضالتهم لانهم عادة يربطون السلسلة الفلسفية بحلقة العصر العباسي ، حيث تكونت مدرسة لترجمة الحكمة السريانية والاغريقية فيما يتصل باللاهوت، وبذل العرب جهودا لفهم الاتجاه اليوناني في تفسير الكون والانسان ، وتاثروا بالتحليل الاغريقي الى حد بعيد ، كما حاولوا ان يوفقوا بين مذاهب فلسفية جاهزة وآراء اسلامية لم تدرس بعد ، وتحلل تحليلا يجعلها في مستوى هذه الفلسفة الاجنبية عنهم ، وكان من نتيجة هذا ان دخلت مذاهب مختلفة النزعة والبيئة كالهندية والفارسية ، الى بيئة ذات نواة خاصة غير قابلة للتطعيم بآراء تختلف في جوهرها عن طبيعة هذه النواة ، فساعد ذلك على تكون نحلات وطوائف مضطربة التفكير ومختلفة الفهم للنص الاسلامي الاول الذي كان ما يزال فتيا ، والذي لولا فتوته لتهدم وتلاشى .

ولم يعدم هذا العصر من شعر باخطار هذه النزعات كالاشعري الذي انشق مثلا عن الجبائي ، حين تبين له ما في تعاليم استاذه من آثار الراوندي ومدرسته وما عسى ان يصيب التعاليم الاسلامية الاولى من خطر داهم ، اذا استسلمت لهذا التطعيم والتاثير .

والحقيقة اننا اذا رجعنا للينابيع الثرة للتعاليم الاسلامية ، نرى الاسلام يصرف انصاره عن الخوض في البحوث الميتافزيقية ، لا لضعف في ادراك فهم العربي المشهور بالذكاء الخارق وجودة الفهم ، ولكن صرفهم عن الخوض فيما خاضت فيه المدارس اللاتينية والاسكندرية فلم تستفد وراء ذلك شيئا ...

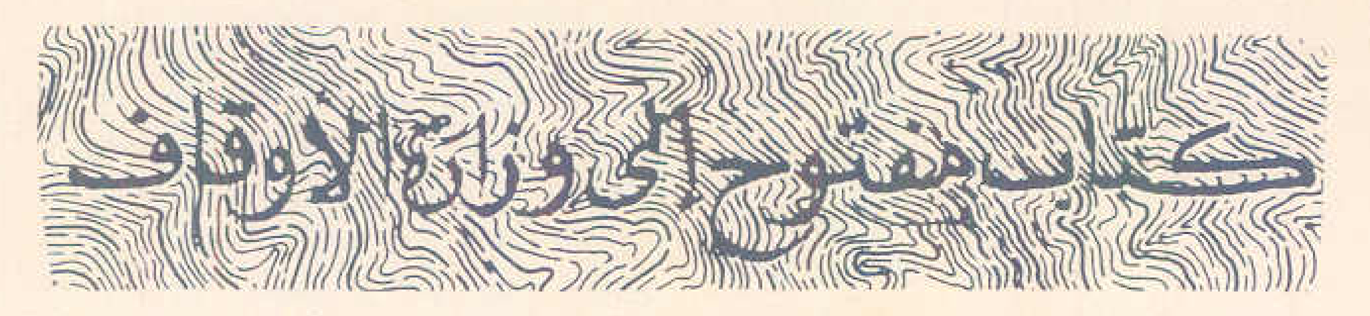
لذلك فلم يحفل القرآن بتحليل فلسفي للروح او الزمان او الحياة او غير ذلك من المشاكل التي شغلت الحكمة القديمة ، على انه دعاهم الى التفكير وامعان النظر ، ومحبة العلم الذي يحسن السلوك العلمي في المجتمع الانساني ..

وما اشبه المعرفة الانسانية بالدوح المتشعب الغصون والافنان ، وما اشبه عمل السلف الصالح البار بعمل الفلاح الذي يشذب الغصن الذي عرف بعد طول التجربة والمران انه لن يورق ولن يثمر ...

ووجهوا عنايتهم الى الحياة العادية التي يحيونها ، فامعنوا النظر في مشاكلهم ونظموا قوانين مجتمعهم ، وسموا ببيئتهم فكانوا اقوياء بالاسلام وكان الاسلام قويا بهم ، واستطاعوا بهذه القوة ان يفتحوا مجاهل الدنيا ، ويحققوا انتصارا باهرا في ميدان الروح والمادة ، ويخضعوا سلطان الحضارات السابقة لغزوهم المظفر ...

ولم يمض قرن كامل حتى نبغ علماء في الرياضيات والطبيعيات ، وكان لهم رأي ما يزال موضع الاجلال الى يومنا هذا .

ومع الاسف فهذه الجولة من جولات الفكر العربي الاسلامي ، لم تحظ بدراسة جدية مثلما حظيت الفلسفة الاسلامية لاسباب لا يصعب تحديدها ، ولعل الفضل في هذا التقدم يرجع لتلك النواة التوجيهية التي كونتها الفطرة في التعاليم الاسلامية الاولى ، لذلك كان الصحابة على حق حين حسبوا الفلسفة ضلالا وان لم يسموها باسمها المتعارف . وكانوا على حق حين عرفوا ان الحقائق البشرية كامنة في فطرة البشرية ، وهي العامل الاساسي في الاهتداء الى طريق الصواب ، واستنتجوا من ذلك ان الاجماع حق ، لان الحقيقة واحدة ، والمجموع اقدر على فهمها بالبصيرة والغريزة والحدس. اما الذين لم يفهموها فلن يكونوا اكثر من شواذ او فاسدي المزاج ، فالراي الصحيح هو ما آمنت به الجماعة الكبرى ، «ولا تجتمع امتي على ضلال» ذلك لان السلوك العملي هو الذي يوجه الانسان ، والجماعة بفطرتها اقدر على معرفة الصواب من الخطأ ..



كتاب مفتوح الى وزارة الأوقاف

للأستاذ عبد الحي العمري

تجتاح الشباب اليوم امواج من المذاهب الحديثة متضاربة متناقضة ، ايا كان مرجع تلك المذاهب الى الدين ، او الثقافة العامة ، او السياسة .

فلا يضمك مجلس من المجالس ، ولا تحضر منتدى من المنتديات الا ويعلو المجلس نقاش قد يلين حينا ، ولكنه احيانا كثيرة يعنف ويقسو ، فيكون اقرب الى الصراخ والمشاجرة منه الى النقاش العلمي المتزن .

بل قد يخلو الانسان ونفسه فتتضارب فى فكره الاراء المختلفة ، وتتجاذبه هذه المذاهب الرائجة فلا يدري بايها ياخذ فيستسلم الى الحيرة وعدم الاطمئنان الى اي شيء ، والحيرة مفسدة عظيمة ، فنحن فى اشد الحاجة الى عقول مطمئنة الى عقيدتها ، وقلوب ثابتة على مبادئها ، واذا كان يصاب بمثل هذا من له حظ من التكوين ، فكيف يكون الحال فى هؤلاء الطلبة ، وهم الذين الفنا منهم عدم الاكتفاء بالثقافة السطحية وعدم تسليم ما يلقى اليهم الا بعد مناقشته وتمحيصه .

بل كيف يكون الحال مع هؤلاء المعلمين انفسهم ، وقد تلقوا معارفهم من برامج غير متشابهة واغترفوا من الثقافة الوانا غير متجانسة ، ثم اجتمعوا فى صعيد واحد لتثقيف طلبتهم وتزويدهم بما تلقوه من مشارب مختلفة فربما اثبت استاذ لطلبته ما نفاه الآخر .

وكيف يكون — ايضا — حال الموظف فى ادارته ، والتاجر فى متجره ، والعامل فى معمله ، وقد اخذ كل واحد من هؤلاء سبيله فى الحياة داخل عمله الضيق ، فاصبحت اغلبية هؤلاء لا يكادون يشعرون بما يدور حولهم .

ومادام الحال كهذا فقد احسنت وزارة الاوقاف صنعا — اذ انشات هذه المجلة — تهدي بها الحيران ، وتروي الظمآن ، وتخرج بالشباب من التردد الى الاطمئنان . والا فما بالك بركب لا رائد له ، لكن . اين هم الدعاة ؟ .

ان المثقفين المغاربة — وهم الذين تعتمد الدعوة عليهم ، لا يتفقون — مع كامل الاسف — فى تحديد معنى الحق تحديدا واضحا ، واذا اتفقوا فلا تراهم يتخذون الى الدعوة طريقا منتجا ، واذا اتخذوها فلا تجدهم يثابرون على دعوتهم مخلصين .

فلتوحيد مناهج الدعوة ، ولتحديد غايتها ، ولتوجيهها التوجيه الصالح المنتج ، ارى ان تسعى وزارة الاوقاف — وهي مشكورة مرة اخرى — الى انشاء مدرسة للدعاة ، لها نظم محددة ، وبرامج معينة ، واساتذة مختارون ، ثم يوكل لطلبتها المتخرجين ، امر هذه الدعوة المرتبكة التي لا تزال لم تتخذ فى بلادنا اتجاها واضحا . ومن بين الفنون التي تدرس بهاته المدرسة : الغرائز البشرية ، والعلوم النفسية ، والمذاهب القديمة والحديثة ، والتيارات الفكرية ، الى جانب السلفية السهلة ، واسرار التشريع الاسلامي العالية ، ثم تعود الطلاب على سبك كل ذلك فى قوة جنان وفصاحة لسان. وحبذا لو اضيفت الى اللغة العربية لغات اخرى حية ، اذ الدعوة كما سنرى غير مقصورة على امة خاصة ، ولا محصورة فى طائفة معينة .

اما ان نترك تكوين الدعاة الى الايام ، فهو شذوذ فى التفكير ، وفوضى فى الدعوة .

ان للوزارة – لو انشأت هذه المدرسة ، ان ترعى امر الدعوة ، فلا تسمح لكل ناعق ان يصيح بمجرد ان يأنس من نفسه الخروج من الامية . بل كم نتوفر على اميين وانصافهم قد جردوا من انفسهم دعاة ومرشدين فى الدين والسياسة والاجتماع . وانت تجد هؤلاء على اعمدة الصحف ، وعلى جناح الاثير ، وفوق منابر المساجد ، وفى اسواق البوادي ، يستمع اليهم خليط من الشباب والاطفال والشيوخ .

ثم هؤلاء الوعاظ (او الوراقون) المنبثون فى المساجد ، والذين نرى بعضهم يتمتمون بكلمات هم اشد الناس حاجة الى فهم معناها . فهل ستحسن وزارة الاحباس صنعا ، فتعمل على الحد من تمتمتهم ، او على الاقل على تلقينهم وتوجيههم الى ما ينفع ويليق .

مثل هؤلاء الدعاة هم الذين جنوا على الاسلام فتركوه مكانه حائرا لم يغز اوربا ، وبقي منحصرا فى البقعة الضيقة التي تركه فيها اباؤنا الاولون. فما للاسلام قد وقف لا يتجاوز الحدود التي تركه فيها اباؤنا منذ مئات السنين؟ وما للاسلام لم يغز امريكا واوربا كما غزى افريقيا من قبل فى بضع عشرات من السنين ؟ ان محمدا – كما يعلم الجميع – قد بعث للعوالم كافة ، فما لورثته اليوم لا يتحملون عبء نشر الدعوة الصحيحة ، فيخرجون بها من حدود افريقيا الى القارات الاخرى كما يفعل اليوم الرهبان المسيحيون ؟؟

ولم لا تتضافر جهود الدول الاسلامية ، فتنشيء فى عواصم الدنيا المراكز ذات البنايات الضخمة ، تتوفر على اساليب الدعايات وسائر المغريات ، ويديرها رجال قد اغترفوا من اللغات الحية الحظ الاوفر ، وبرعوا فى العلوم النفسية والطبائع البشرية ؟؟

لم لا نغزو هؤلاء فى عقر دارهم كما يغزوننا ؟ ولم لا تملأ آذانهم وقلوبهم بشيء جديد لم يألفوه ؟ ولم لا نغتنم فرصة الحادهم وتشككهم ، فننظمها حملة موفقة نستميل بها قلوبهم ؟؟

ولكن لعلنا نحن انفسنا فى اشد الحاجة الى دعوة منظمة ، وحملة موفقة على عدوى الشك والتشكيك التي تسربت الى عقولنا .

بل لعل اغلب الحكومات الاسلامية لا تعلم ان تعاليم الاسلام الصحيحة علة لوجودها وامتداد لحياتها، وسر فى استمرارها ، فهي مجدة فى الدفاع عن حدودها السياسية متوانية فى تركيز المبادىء الاسلامية بين صفوف ابنائها . والا فما بال الاسلام قد غزا افريقيا فى اقل من قرن ، ثم وقف جامدا مترددا فى اكثر من اثنى عشر قرنا .



للأستاذ محمد علي الكتاني

تاريخ كل امة صورة حية لنشاطها المادي والمعنوي ، وهو المظهر الحقيقي الذي يبرز المقومات الشخصية ، ويوضح المعالم البارزة الانسانية التي تكتمل بها الذاتية ، وبواسطته يتجلى مقدار النشاط الفردي والجماعي ، وما اسهمت به الامم والجماعات في ميدان الحضارة ومجال التقدم .

وقد تقدمت الدراسات التاريخية ، واصبحت فنا قائم الذات مكتمل الاجزاء واضح السمات ، يعتمد على اسس مقررة وقوانين طبيعية وكونية ، ومعلومات متنوعة متعددة الاشكال والمظاهر ، وتشعبت فنونه فشملت محيط الانسان كموجود ، وقيمته كفرد من المجموعة التي تكون سكان المعمور ، وبيئته التي تصهره في بوتقته فتكون منه الفرد العادي والانسان المتفوق والشخصية البناءة ... واضحى الفن الذي كان يعتمد على سرد الاحداث وذكر الوقائع ، مجرد آثار من آثار المعرفة اندرست اشكاله ، وانمحت فضائله ، فعلى الدارس – اذا اراد ان يكون باحثا حقيقيا – ان يستفيد من البيئة والحالة الاجتماعية ، والتقدم الصناعي ، وعوامل الازدهار المادي والفكري ، وان يقارن بين الاحداث ، ويستنتج النتائج ، ويستخلص من كل ذلك قاعدة معقولة ، تصمد امام كل نقاش وتتحدى كل نقد.

وقد شهد المغرب قديما وحديثا احداثا تاريخيةعظيمة القيمة والفائدة بالنسبة للتطور الحضاري ، وحق له ان يشهد هذه الاحداث وهو الذي جعلته الطبيعة معبرا بين الشرق والغرب ، وقريبا من التيارات المختلفة التي تصطخب امواجها وتتلاطم في عنف وقوة ، فلا بدع ان يكون مجال الدراسات فيه واسع المدى ، متشعب السبل، وان يتعدى هذا المجال الافق المغربي الى علاقات هذا البلد بامم اخرى وشعوب مختلفة ، وهل استفاد من وضعيته الجغرافية التي جعلته فردا من مجموعة حوض البحر الابيض المتوسط ... هذا الحوض الذي لعب وما يزال دورا في توجيه الحضارة وتكييف المعتقدات وبلورة مظاهر المدنية ...

ويحق لنا ان نتساءل بعد هذا ، اين هو تاريخنا هذا الذي يكتسي هذه الاهمية ، ويطوي بين ضلوعه هذه الدفقات من الحيوية والنشاط ، ويخفي بين سطوره هذه الرموز من الابداع والتفوق ..؟ اين هو هذا الماضي الذي يكشف عن اسرار عميقة ، ويبرهن عن حس وشعور ، ويعطي دروسا قيمة لمن يحسن الاستفادة ..؟ هل ما يزال الوقت لم يحن بعد لان تكشف عنه الاغطية وتزال عنه الحجب ، ويبرز للعيان عروسا مجلوة كاملة الزينة تامة التجهيز ؟

لقد من الله علينا بالاستقلال الذي كنا ننشده ، وتحقق الامل الذي ظل يراود المخلصين من ابناء هذا الوطن فراوا وطنهم متحررا من ربقة العبودية ومتخلصا من قيود الاستعمار ، يرفل في حلل المجد وينتشي فرحا بالنصر جذلان بما حققه على يد ملك مخلص غيور ، ملك عظيم بكل ما في الكلمة من معنى ، هذا الملك الذي عرف كيف يقود امته ويحقق لها المعجزة ويبعثها بعثا جديدا ، فضم بعمله لبنة في صرح المجد ، الذي نريد ان يظهر جليا للعيان ، وان ترسم اشكاله ليطلع العالم على اننا امة جديرة بالحياة ، وان نعمة الاستقلال لم ننلها تزلفا لشيء ، ولا انها سقطت علينا من السماء ، وانما هي حق من حقوقنا استرجع ، فهل آن الاوان لان نعلن ان تاريخنا يكاد يكون مجهولا ، وان كتابته على النهج العصري حلم لم يتحقق الى الان ، وان شبيبتنا تقاسي مرائر في هذا السبيل ، فاذا توجهت الى مصدر هذا التاريخ لم تجد امامها الا (الاستقصا) وان القائمين بتدريس هذه المادة في حيرة من امرهم ، فلا يدرون اي طريق يسلكون .

فيا ايها الكتاب ويا ايها المؤرخون اني اقولها كما قال (اميل زولا) اني اتهم ، اتهم الكتاب والمؤرخين بجمود القرائح ، وبالكل العقلي واربا بهم ان يوسموا بان الثورة قد شملت كل مظهر من مظاهر الحياة الا شؤون الفكر .

لقد كان الكتاب واصحاب الاختصاص ـ وما اقلهم ـ يتملصون قديما بحجة الاستعمار ، الذي كان يكبل العقول ويلجم الافكار ، ويحجر الكلام ويضع على الايدي والالسنة قيودا ... وكان في تملصهم ودفاعهم بعض المقبول ، ثم زالت الاستار وتحطم السد فانفتحت كل الابواب ، ولم يعد هناك عذر مقبول الا الكسل ، فهل يصبرون على ان يسجل عليهم التاريخ ـ وهو لا يرحم ـ انهم يتفرجون على معركة البناء وهم صامتون، ويصفق الناس وهم جامدون ، حسب الاحداث ان تجري وتجري ، فنومة اهل الكهف لم تنته بعد .

وكانوا يتملصون بحجة ان المصادر معدومة او كالمعدومة وان خزائن الكتب قد ضرب عليها بسياج من حديد ، وان الوصول الى سفر من هذه الاسفار يعد ضربا من المستحيل ... وهي حجة ما انزل الله بها من سلطان ، فلا الكتب ممنوعة عمن يطلبها ولا هي محجوزة عن كل متوقف عليها ، ومتى كانت الحواجز المادية تقف دون اللذة العقلية ؟ وانما الكتب حقا عرضة للارضة تقضم منها الليلة بعد الليلة ، واليوم بعد اليوم ، حتى اذا ادرك شهرزاد الصباح وجدت الكتاب غربالا ، ويكون الزمان قد عمل عمله وانتهت الرحلة بسلام .

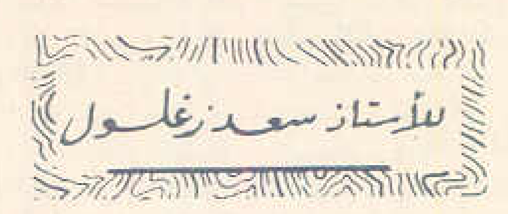
قد يكون هناك عذر مقبول ، وهو قلة التشجيع ، فالكاتب لكي يغمس قلمه ويجود بالحرف ، يحتاج الى الذي يشد ازره ويقوي عزيمته ، ويضمن له العون المعنوي ان لم نقل المادي ... وبجانب هذا قلة الاقبال على ما ينشر ويكتب فكان جمهورنا اصيب بالعقم العقلي ، فهو لا يقبل على اي انتاج ولا يساهم في اي نشاط ... وهذا داء نعانيه في بداية عهدنا الجديد ، ولا ارى له سببا ـ في نظري ـ الا هذه البلبلة التي عمت العالم بعد الحرب العالمية الاخيرة ، فاضحى الفرد يسعى جهده لكي يضمن قوته وقوته فقط، اما ان يغذي عقله فهذا شيء ثانوي بجانب الاحداث العالمية التي تاخذ من نشاطه وتجعله يترقب كل يوم خبرا عن الصاروخ والقذائف ، فمتى نتحرر من هذه المحنة ، ونخلق جوا علميا ينسينا ولو الى حين فورة الصاروخات!

وبعد فهذه صرخة اردت ان ارفعها من فوق منبر دعوة الحق ، ليتنبه اصحاب الشان ، والمسؤولون عن المعرفة في هذا البلد الامين ، واعتقد انهم لا تنقصهم الغيرة ولا يعوزهم الايمان ، وان بامكانهم ان يفعلوا المستحيل لكي يكتب تاريخنا في اسلوب جزل سهل ، وبطريقة منظمة سليمة ، وان ننقذ الطلبة من هذه الفوضى التي تصيبهم من جراء دراسة التاريخ ، فكل استاذ يكتبه كما شاء وهو معذور ، فلو تكتلت الجهود لما وصلنا الى هذا الطور .

وعلى راس وزارة التربية الوطنية رجل عرف باخلاصه للثقافة ، وتفانيه في خدمة التاريخ المغربي وله فيه جولات موفقة ، فاليه نتوجه في ان ينشيء لجنة من كبار الباحثين والمتخصصين لسد هذا العجز ، وما ذلك على همته بعزيز ....

والى الادباء والباحثين واصحاب الخزائن وذوي الكفاءات ، اوجه الدعوة لكي يجندوا انفسهم لهذا الواجب الوطني ، واعتقد انهم ان شاء الله فاعلون .





ان الله يأمر بالعدل .
قل امر ربي بالقسط .
ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى .

تلك آيات الكتاب المبين ، او آيات منه فى العدل، حين تتلوها او تسمعها وتلحظ فيها صيغ الامر ، الامر الالاهي ، وتتأمل مبلغ القوة والحزم فيها ، تدرك لتوك ولحظتك ان الاسلام يجعل العدل اصلا من اصولـــه الاولى ، وقاعدة من قواعده الاساسية ، يأخذ كل فرد منه نصيبه كاملا غير منقوص ، لا كمنحة ولا هبــة ولا منة ، ولكن كحق له مفروض فرضه الله الذي تجب طاعته ، على اساس ان الحياة لا يمكن ان تستقيم الا به، وان مجتمعا صالحا لا يمكن ان يقوم الا عليه ، فرضه وفرض تحقيقه فى غير تسامح ولا ترخيص ولا مجاملة.

وانظر بعد ذلك ايها القارىء الى الاحاديث النبوية التالية تجد فيها دعوة الى العدل وتعزيزا لمغانيه ودفعا مغريا لساحته :

(ان المقسطين عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا) .

(لا تقدس امة لا يقضى فيها بالحق ، ويأخـــذ الضعيف حقه من القوي) .

(يوم من امام عادل افضل من عبادة ستين سنة)

وانظر الى الاسلام كيف ينهي عن الجور ويبغض النفس فيه ويحذرها من عواقبه .
ويقول الله تعالى : (وكذلك اخذ ربك اذا اخـذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد) .

ويقول رسول الله :

(ان الله يملي للظالم فاذا اخذه لم يفلته) .
(دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه) .

وفى الحديث القدسي :

(اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرمـــا بينكم فلا تظالموا . وعزتي وجلالي لانتقمن من الظالم فى عاجله وآجله ، ولانتقمن ممن راى مظلومـــا فقـــدر ان ينصره فلم يفعل) .

(قل للظلمة ان يذكروني فاني اذكر من يذكرني ، وان ذكري اياهم ان العنهم) .

فاذا بحثت عن التطبيق وجدت عند الرسول وعند خلفائه من بعده فى كتب السيرة ، فيضامن الواقع ينبئك بالتزام حدوده ، وتقديم الاسوة الحسنة والقـــدوة الصالحة فيه ، ويزيدك ايمانا بما اعلن الاسلام من حق كل فرد فى العدالة ، عدل عمر .

وحسبك ان تذكر عمر بن الخطاب وهو يعدل بين الناس فى احكامه ، ويسال الغادي والرائح عن عماله ، فمن بلغه شيء من ظلمه عزله ، ويقول فى كتاب الى عامل لـه :

اما العدل فلا رخصة فيه فى قريب ولا بعيد ولا فى شدة ولا رخاء .

وان تذكر قصته مع جبلة بن الايهم ملك غسان ، حين اصر عمر على امضاء العقوبة فيه من اجل احـد السوقة وهو يصيح فيه : **(ان الاسلام قد سوى بينكما**

وان تذكر قصته مع ابن عمرو بن العاص الذي ضرب مصريا سابقه فسبقه ، فامره بضربه جزاء وفاقا وهو يقول قولته الشهيرة : **(متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا)** وان تذكر قصته ايضا مع ابنه حين اقام الحد بنفسه عليه ، واذكره وهو يجلس ليقسم المال بين المسلمين بالقسطاس المستقيم ، ويقول : **والله ما احدا حق بهذا المال من احد ، وما انا احق به من احد ، والله ما بين المسلمين من احد الا وله في هذا المال نصيب ، الى ان يقول : والله لئن والله لئن بقيت في هذه الامة ليأتين الراعي في جبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه .**

قضية وحكم :

وهذا عمر بن عبد العزيز، انظر اليه والى روحه وروح الاسلام في مرآة الحديث الاتي :

كان عبد العزيز (ابو عمر بن عبد العزيز) واليا على مصر من قبل عبد الملك بن مروان ، فاهداه الخليفة ارض حلوان اقطاعا ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة قدم مصري عليه يطالب برد ارضه التي اخذها ابوه منه عنوة في حلوان .

لو غير عمر ممن لم يتشبع بروح الاسلام لطرده ، بل ربما عاقبه على تهجمه على مقام اكبر راس ، لكن انظر ماذا فعل عمر، او ماذا اوحى الاسلام لعمر ان يفعل فنفعل :

قال لخصمه تعال نحتكم الى قاض ليحكم بيننا بما انزل الله ، فان لي فيها شركاء اخوة واخوات ، وقام معه الى القاضي وقعد بين يديه ، وتكلم بحجته وتكلم المصري بحجته ، فقضى القاضي للمصري ، فقال عمر ابن عبد العزيز : لقد انفق ابي على الارض واصلاحها الف الف درهم ، فقال القاضي لقد اكلتم من غلتها بقدر هذا . فقال عمر : وهل القضاء الا هذا. والله لو قضيت لي ما وليت لي عملا) .

تلك امة قد خلت لكن الشريعة المحمدية باقية موئلا للانسان وملاذا لحقه في العدالة .

طرائف ونوادر

الطرائف والنوادر المنشورة في اواخر المقالات في هذا العدد وفي العدد الماضي هي من اختيار الاستاذ السيد عبد القادر القادري ، وسيختار الاستاذ القادري للمجلة في كل شهر جملة من النوادر والطرائف .

فنرجو له التوفيق في الاختيار ، كما نرجو ان يجد فيها القارىء متعة واستراحة من المقالات الطويلة الدسمة

الجماعة الإسلامية بباكستان

1 ـ غايتها :

ان الغاية الوحيدة التي لاجلها قامت الجماعة الاسلامية وتناضل وتجاهد انما هي اقامة النظام الاسلامي ابتغاء لوجه الله تعالى وحده . وما هي بجماعة سياسية او دينية او اصلاحية بذلك المعنى الضيق المحدود الذي يعرفه الناس عامة للجماعات السياسية والدينية والاصلاحية ، بل هي جماعة شاملة تؤمن بنظرية جامعة عالمية للحياة البشرية ـ الاسلام ـ وتريد تنفيذها فعلا فى عقائد الناس وافكارهم واخلاقهم وعاداتهم وعلومهم وفنونهم وآدابهم ونظمهم للمدنية والثقافة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والعلائق الدولية . وان السبب الحقيقي الوحيد فى نظر هذه الجماعة لكل ما فى الارض اليوم من القلق والاضطراب والفساد ، هو انحراف اهلها عن طاعة ربهم وغفلتهم عن مسؤوليتهم فى الاخرة واعراضهم عن اتباع هدى الانبياء وطريقتهم المثلى .

2 ـ منهاج عملها :

والطريق الوحيد الذي به يمكن تحقيق هذه الغاية هو خلق القوة الاجتماعية . والوسائل التي اختارتها هذه الجماعة للآن لاقتناء الافراد الصالحين العاملين من المجتمع وتنظيمهم بازاء قوى الشر ، نذكر بعضها على وجه الايجاز فى ما يلي :

1 ـ نشر الكتب والرسائل واصدار المجلات والجرائد .

2 ـ تبليغ الدعوة وايضاح غايتها بالمحادثات والاجتماعات الشخصية .

3 ـ توسيع الدعوة بالخطب والمحاضرات واقامة دور للمطالعة فى القرى والحارات .

4 ـ عقد الحفلات الاسبوعية وجعلها وسيلة الى التربية العلمية والعملية للمتأثرين بالدعوة والعاملين لها.

5 ـ القيام بخدمة العامة واتخاذها وسيلة الى اصلاحهم الخلقي وايقاظ الشعور الديني والسياسي فيهم .

6 ـ الاهتمام باصلاح المساجد والجوامع فى الحارات والقرى .

7 ـ العمل على انقاذ العامة من ظلم الحكام وموظفي الحكومة وملاك الاراضي واصحاب المصانع والمعامل واشرار الناس واوباشهم .

8 ـ اقامة المدارس الابتدائية والثانوية لتعنى بتربية الطلاب تربية خلقية مع التعليم .

9 ـ اقامة المراكز لتعليم الاميين .

10 ـ الاخذ باسباب النظافة وحفظ الصحة بالتعاون مع عامة اهالي القرى والحارات .

11 ـ الخوض فى الانتخابات واعداد الناخبين لانتخاب نوابهم وممثليهم من الصالحين الاكفاء .

12 ـ بذل السعي لاصلاح نظام الحكومة حتى تصبح حكومة البلاد تدرجا حكومة يمكن ان يعبر عنها بالخلافة على منهاج السنة .

13 ـ العمل على اصلاح قوانين البلاد حتى يكون فيها النفاذ للشريعة الاسلامية بدلا من القوانين غير الاسلامية .

3 ـ نظامها :

للجماعة امير ينتخبه اعضاؤها باغلبية آرائهم انتخابا مباشرا . وما هو بمثابة امير المؤمنين ـ حسب المصطلح الشائع المعروف ـ وانما هو امير لاعضاء الجماعة الذين انتخبوه اميرا لانفسهم بانفسهم . واميرها الحالي هو الاستاذ السيد ابو الاعلى المودودي

وللجماعة مجلس مركزي للشورى لمساعدة الامير ينتخب اعضاءه اعضاء الجماعة لمدة ثلاث سنوات وعلى الامير ان يقوم بواجباته وينفذ احكامه دائما بمشورة مجلس الشورى .

اما قيم الجماعة اي امين سرها العام ، فيعينه الامير من اعضاء الجماعة بمشورة مجلس الشورى وقيمها الحالي هو الاستاذ طفيل محمد .

وللجماعة مائتا فرع منتشرة في معظم مدن باكستان وقراها . ولكل فرع منها امير محلي وقيم ومجلس للشورى ومكتبة لتوزيع كتب الدعوة ومؤسسة مالية – بيت المال – يدخر فيها ما يؤدي اعضاء الجماعة وانصارها والمتأثرون بدعوتها من زكاة اموالهم السنوية وما يتبرعون به من ذات يدهم حسب ما تقتضيه الحاجة .

وهذه الفروع موزعة الى لواءات، واللواءات موزعة الى حلقات حسب التقسيم الاداري ويشرف على الجميع مركز الجماعة العام في مدينة لاهور . فعدد اللواءات اربعون وعدد الحلقات اربع عشرة في باكستان كلها ولكل لواء – وكذلك لكل حلقة – منها امير وقيم ومجلس للشورى وبيت للمال .

والجماعة تقسم رجالها الى طبقتين :

1 – الاعضاء : هم الذين آمنوا بسمو الدعوة ووقفوا حياتهم للوصول الى غايتها وعزموا صادقين ان يعيشوا بها او يموتوا في سبيلها . وهؤلاء لهم وحدهم الاشتراك في انتخاب الامير المركزي والامراء في الفروع واللواءات والحلقات . وعليهم وحدهم تبعة اعمال الجماعة وخطة سيرها . والجماعة لا تقبل احدا لعضويتها الا بعد اختباره في اخلاقه واخلاصه وفهمه للدعوة واهدافها ومنهاج عملها . ومن ثم لم يبلغ عدد اعضائها للآن الا 1200 رجل في باكستان كلها ، وفيهم من النساء عدد لا يستهان به وهن يعملن في دوائرهن الخاصة .

2 – المتفقون : هم الذين لبوا دعوة الجماعة ويبذلون جهودهم في نشرها الا انهم لم يتمكنوا بعد من الاقدام على دخول الجماعة والاشتراك في تبعتها كالاعضاء او لم تقبلهم الجماعة لعضويتها لسبب من الاسباب ويبلغ عددهم نحو 25000 ويبلغ عدد مراكزهم نحو 800 مركز في باكستان كلها .

اما المتأثرون بدعوة الجماعة الذين يقرأون منشورات الجماعة وجرائدها ويظهرون لها موافقتهم ويؤيدونها ويشدون ازرها ويساعدونها مساعدة مالية ، فلا يحصيهم السجل ولا يعلم عددهم الا الله وهم منتشرون في كل محل في باكستان .

4 – شعب الجماعة في مركزها العام :

1 – شعبة التنظيم للاشراف على فروع الجماعة وتنظيمها في باكستان كلها بالمكاتبة والجولات ، وتنفيذ اوامر الامير ومجلس الشورى وضبط اسماء الاعضاء وعناوينهم وهذه الشعبة تقوم باعمالها تحت اشراف القيم العام وعليه تبعتها .

2 – بيت المال : لتنظيم مالية الجماعة والاشراف على بيوت مال الجماعة في الحلقات واللواءات والفروع المحلية ومحاسبتها . وكل فرع للجماعة يؤدي جانبا من ماليته الى بيت المال في لوائه ، وبيوت المال في اللواءات تؤدي جانبا من ماليتها الى بيت المال في حلقاتها ، وبيوت المال في الحلقات تؤدي جانبا من ماليتها الى بيت المال المركزي حسب نظام معين .

3 – المكتبة المركزية : لنشر كتب الجماعة ورسائلها . وقد بلغ عدد منشوراتها للآن 190 كتابا بين صغير وكبير ، وهي تعد من اكبر مكتبات باكستان وهي من اهم الوسائل المالية للجماعة . وجدير بالذكر ان كثيرا من كتب الجماعة قد نقلت ولا تزال تنقل الى 15 لغة من اللغات العالمية والمحلية .

4 – شعبة النشر والدعاية: لنشر اخبار الجماعة واعلاناتها في مختلف الجرائد والمجلات في داخل البلاد وخارجها والاشراف على مجلات الجماعة وجرائدها . ولها فروع في كل محل في باكستان .

5 – شعبة التربية لتربية أعضاء الجماعة ومتفقيها تربية علمية وعملية وتنظيمية وخلقية .

6 – شعبة العمال : لتنظيم العمال والمزارعين والموظفين الادنين في دوائر الحكومة ومصالحها وفي المعامل والمتاجر الشخصية ومساعدتهم في مشاكلهم واصلاح العلاقة بين المستأجرين والاجراء حسب احكام الاسلام وتعاليمه . وهناك نحو خمسين نقابة للعمال في باكستان كلها تحت اشراف هذه الشعبة .

7 – شعبة خدمة العامة : لجمع الصدقات والتبرعات من الاغنياء ومساعدة الفقراء واليتامى والايامى والاسراء والمنكوبين وغيرهم بها . فتحت اشراف هذه الشعبة الآن هناك احد عشر مستشفى متنقلا وتسعة واربعون مستشفى ثابتا في باكستان كلها لعلاج المرضى من الفقراء والمعوزين مجانا ، وقد وزعت هذه المستشفيات في سنة 55 – 1956 وحدها الدواء بين نحو 000 1900 مريض وانفقت عليه نحو ثلث مليون روبية وكذلك ساعدت المصابين بالسيول في شرقي باكستان سنة 1955 وحدها بملابس ومرافق اخرى تبلغ قيمتها مائة وخمسين الف روبية . وكذلك قد اقامت الى الآن 300 دار للمطالعة وعدة مراكز لتعليم الاميين .

8 – شعبة النساء : لنشر الدعوة في دوائرهن والاشراف على مراكزهن في باكستان كلها .

9 ـ دار العروبة للدعوة الاسلامية : لنقل كتب الجماعة ومنشوراتها الى اللغة العربية ونشرها والاتصال بالعالم العربي .

10 ـ دار الترجمة الانكليزية : للاتصال بالعالم الغربي ونقل كتب الجماعة الى الانكليزية ونشرها .

11 ـ شعبة التعليم : قد بدانا تاسيس عدة مدارس ابتدائية وثانوية تحت اشراف هذه الشعبة فى المدن والقرى .

5 ـ تاريخها :

لايجاز تاريخ هذه الجماعة ودعوتها يمكن ان يقسم الى اربع مراحل :

1 ـ مرحلة النقد والتبليغ (1938 – 1941).
فى سنة ثمان وعشرين نشر الاستاذ المودودي كتابه « الجهاد فى الاسلام » وفى سنة ثلاث وثلاثين شرع فى اصدار مجلة شهرية (ترجمان القرآن) وطفق يبذل سعيه بصفته الفردية لتكوين فكرة سليمة للاسلام ونظمه فى اذهان المسلمين وانتقاد الآراء والنظريات الجانحة عن محجة الصواب ، والكشف عن مواطن الضعف فى تصور القوم للاسلام ، وقد الف ونشر فى هذه المرحلة من الكتب ما يلي : 1 ـ الثقافة الاسلامية ومبادؤها 2 ـ مسالة الجبر والقدر 3 ـ حقوق الزوجين 4 ـ الاسلام وتحديدالنسل 5 ـ مبادىء الاسلام 6 ـ الربا 7 ـ موقف الاسلام من القومية 8 ـ الحجاب 9 ـ مجموعةخطب ايام الجمعة 10 ـ نظرية الاسلام السياسية 11 ـ نظرة فى العبادات الاسلامية 12 تاريخ تجديد الدين واحيائه 13 ـ منهاج الانقلاب الاسلامي 14 ـ المصطلحات الاربعة فى القرآن : الاله والرب والدين والعبادة 15 ـ الاسلام والجاهلية 16 ـ النظام الجديد للتربية والتعليم 17 ـ معضلات الاقتصاد وحلها فى الاسلام 18 ـ الجزء الاول من التفهيمات فى البحوث عن المسائل المهمة فى الفقه والكلام 19 ـ التنقيحات فى نقد الآراء المضطربة عن الاسلام ومبادئه 20 ـ الاسلام ومعضلات السياسة الهندية فى ثلاثة اجزاء

2 ـ مرحلةالتربية والاستعداد (1941 – 1947)
مما لابد من الاعتراف به ان اغلبية المسلمين وجمعياتهم فى الهند ما تقبلت نظرية الاسلام الخالصة وما زالت تسعى الى اهدافها الوطنية والقومية ، حتى راى الاستاذ المودودي ان قد آن الوقت لينخرط الذين تاثروابالدعوة الاسلامية الخالصة فى سلك واحد . فاجتمع فى شهر اغسطس سنة احدى واربعين على دعوته خمسة وسبعون رجلا فى لاهور من مختلف انحاء البلاد وجميع طبقات الامة واسسوا الجماعة الاسلامية وانتخبوا الاستاذ ابا الاعلى المودودي اميرا لها .

شرعت الجماعة الاسلامية فى مهمتها بتعميم الدعوة ونشر فكرة الاسلام . ففي جانب ما زال الاستاذ المودودي يدون آراءه وافكاره فى مجلته (ترجمان القرآن) ويلقي المحاضرات فى مواضيع عمرانية امام طلاب الجامعات واساتذتها ، كما ظهر فى الجماعة نخبة من المؤلفين وقفوا حياتهم ومواهبهم لاستجلاء محاسن الاسلام باسلوب عصري متين . وفى الجانب الاخر عنيت الجماعة بتربية اعضائها على الاخلاق واداء شهادة الحق القولية والعملية . وكان جل اعتمادها فى مهمة التربية على امور ثلاثة : (آ) التبليغ : من واجبات كل عضو ان يزود نفسه بما يقدر من العلم والدراسة ويعرض الدعوة ومطالبها وتفاصيلها على كل من يتصل به من ذوي قرباه وغيرهم من المسلمين وغيرهم ويلزم نفسه الصدق وقول الحق والكسب الحلال . (ب) المحافظة على نظام الجماعة (ج) حرية النقد فى داخل الجماعة وخارجها . ولا عجب اذا قلنا ذلك ان اعضاء الجماعة ما زاد عليهم فى هذه المرحلة على ستمائة وخمسة وعشرين رجلا . اما الكتب والرسائل التي نشرتها الجماعة فى هذه المرحلة علاوة على صحفها ومجلاتها الشهرية والاسبوعية هي : 1 ـ الجزء الاول من الرسائل والمسائل (يحتوي هذا الكتاب على ما ورد علىالاستاذ المودودي خلال السنوات الماضية من رسائل الناس واسئلتهم عن مختلف شؤون الحياة ومشاكلها واجوبته عليها) . 2 ـ الشروع فى تدوين تفسير القرآن (تفهيم القرآن الذي قد وصل حتى الآن الى سورة الشعراء) 3 ـ طريق السلام 4 ـ الدين القيم 5 ـ عقاب المرتد عن الاسلام 6 ـ نظرية الاسلام الخلقية 7ـ حقيقة الشرك 8 ـ حقيقة التوحيد 9 ـ حقيقة التقوى 10 ـ الشيوعية والنظام الاسلامي 11 ـ شهادة الحق 12 ـ دعوة الدين ومنهاج القيام بها 13 ـ دعوة الجماعة الاسلامية 14 ـ فساد العالم واصلاحه .

3 ـ مرحلة الكفاح والنضال : تبدا هذه المرحلة مع انقسام القارة الهندية الى قطرين ، هند وستان وباكستان فى شهر اغسطس سنة 1947 .

كان من التاثير المباشر لتقسيم البلاد ان انفصلت الجماعة الاسلامية فى باكستان عن اختها فى الهند انفصالا كليا . اما الاعضاء فى الهند فقد نظموا انفسهم على اثر التقسيم على الفور واسسوا مركزهم فى مدينة رام بور وانتخبوا الاستاذ ابا الليث الاصلاحي (نسبة الى مدرسة الاصلاح فى اعظم كره) اميرا لهم وهم لا يزالون

بتوفيق من الله وتاييده قائمين بنشر الدعوة على عدم توافق الاحوال واضطراب الامور ويذوقون في هـــذا السبيل من المحن والشدائد ما لا مجال لذكر تفاصيله في هذه العجالة . اما الجماعة الاسلامية في باكستان ، فاضطرت الى ان توسع نطاق عملها وتقوم بدعوة عامة الشعب ورجال الحكومة الى احياء نظام الاسلام في صورته الكاملة الحية . وذلك لعدة اسباب من اهمها – كما لا يخفى على القراء الكرام – ان باكستان ما كانت اقيمت الا باسم الاسلام ولاجل ان تؤسس فيها حكومة الاسلام الفكرية بدل حكومة المسلمين القومية ولكن كما انها توجد في كل قطر من الاقطار المسلمة في العالم طبقة عليا من الموظفين والمترفين قد انحرفت عن الاسلام ومالت الى اللادينية في سبيل اهوائهم النفسية ولتاثرهم بالثقافة والعلوم الغربية ، كذلك توجد منهم طبقة في باكستان ايضا . وكما ان النزاع قائم في كل قطر بين هذه الطبقة وبين عامة المسلمين والعلماء والمثقفين المحبين للاسلام ، فكذلك ما زالت وما تزال الحرب قائمة بين هذه الطبقة وبين الجماعات والعناصر العاملة للاسلام ، ظلت هذه الطبقة عقبة كاداء طوال ثمان السنوات الماضية في سبيل الدستور الاسلامي للبلاد، ولكنها باءت بالفشل وانكسرت شوكتها اخيرا الى حد ان قد تم وضع الدستور الجديد لباكستان على الاسس الاسلامية ، وذلك نتيجة لمساعي الجماعة الاسلامية والجماعات الدينية الاخرى في البلاد بعد توفيق من الله وعونه ، ومما قد اعترف به في هذا الدستور الجديد ان ليست الحاكمية الا لله وحده ، وان كل ما تتمتع به الدولة الباكستانية من صلاحيات الحكم وسلطاته ان هو الا وديعة لها من الله تعالى . وكذلك مما يعترف به هذا الدستور أن الحكومة من واجبها أن تعمل على اعداد المسلمين لقضاء حياتهم وتكييف اوضاعها حسب مبادىء الاسلام وتعاليمه وتبذل الجهود لاستئصال المنكرات والامور المنهي عنها في الشريعة . وقد الزمت الحكومة في هذا الدستور ان تعمل لسد باب الربا والفواحش والقمار وتقيم في البلاد العدالة الاجتماعية وفق مبادىء الاسلام واصوله . ومن المواد المستقلة لهذا الدستور أن لا يوضع في البلاد في المستقبل قانون يخالف الكتاب والسنة وان تغير تدرجا القوانين الحاضرة حتى تكون وفق احكام الاسلام ، وقد الفت لهذا الغرض لجنة خاصة تستعرض القوانين السابقة وتبين ما فيها من الامور المخالفة للكتاب والسنة وما يمكن ادخاله فيها من الاصلاح . ومن واجبات هذه اللجنة نفسها ان تدون احكام الكتاب والسنة في صيغة مجلة للاحكام لتكون كالنبراس في سبيل التشريع في المستقبل .

اما الكتب والرسائل التي نشرتها الجماعة في هذه المرحلة الثالثة ، فهي :

1 – الجزء الثاني من كتاب الرسائل والمسائل 2 – نظام الحياة في الاسلام 3 – القانون الاسلامي وطرق تنفيذه في باكستان 4 – حقوق اهل الذمة في الدولة الاسلامية 5 – مسالة ملكية الارض في الاسلام 6 – اسس الاقتصاد بين الاسلام والنظم المعاصرة 7 – الجزء الثاني من كتاب التفهيمات 8 – موقف الاسلام من التاميم 9 – المراة الباكستانية على مفترق الطرق 10 – نظام الدولة الاسلامية في اربعة اجزاء 11 – خطة الجماعة الاسلامية في الانتخابات ومنشورها لها 12 – اسس الدستور الاسلامي 13 – نحو الدستور الاسلامي 14 – المسالة القاديانية 15 – البيانات .

4 – مرحلة الانشاء والتعمير : وبعد وضع الدستور الجديد لباكستان قد دخلت الجماعة الاسلامية مرحلة جديدة لبذل المساعي والجهود وهي ان تعد المجتمع في جانب لتطبيق الدستور الاسلامي وتنفيذه وان تعمل في الجانب الاخر لاصلاح نظام حكم البلاد ولاصلاح قوانينها ولكل ذلك قد رسمت امامها نهجا للعمل من اهم نقاطه :

1 – تعليم خمسة وعشرين الف امي في ثلاث سنين .

2 – الزيادة في عدد المثقفين للجماعة حتى يبلغ اربعين الف شخص في ثلاث سنين .

3 – اقامة دار للعلوم الشرعية العليا تقوم باعداد العلماء واسعي النظر المتصفين بفضائل الاخلاق . (وقد اسسناها فعلا في الشهر الماضي) .

4 – اقامة خمسمائة دار المطالعة في ثلاث سنين

5 – تاسيس ادارة تهتم بتعليم النساء على الطريق الاسلامي وانشاء دار النشر والاشاعة لهن خاصة .

6 – اقامة ادارة لتدريب المثقفين من الشباب على التحقيق العلمي .

7 – نقل جميع كتب الجماعة ومنشوراتها الاردية الى اللغة الانكليزية .

8 – اقامة ادارة تقوم بنقل الكتب الاسلامية المهمة الى اللغة الاردية .

9 – نقل جميع منشورات الجماعة بالاردية الى اللغة البنغالية اي لغة اهالي شرقي باكستان (لان شرقي باكستان يزيد عدد سكانه عن نصف عدد سكان باكستان كلها ولغتهم البنغالية كانها خالية من الكتب الاسلامية) .

10 – البدء بحركة شاملة دائمة في باكستان كلها للقيام في وجه المنكرات والفواحش .

11 – بذل السعي لانجاح الرجال الصالحين الاكفاء في الانتخابات ليسيروا نظام الحكومة على الطريق السوي وفق روح الدستور الجديد ويدخلوا في الدستور من التعديلات ما يظهره من المعايب والنقائص الموجودة فيه . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

فهرس العدد السابع

الصفحـــة

في جبال الاطلس المتوسط ، يجتمع فرسان القبائل ليقوموا باستعراضات العاب الفروسية والغناء والرقص الجماعي في الاعياد الدينية والوطنية .

مطبعة فضالة — فضالة